

د. نبيل فاروق

الأبطال

فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣م، إشتعلت أعظم حرب فى التاريخ المصرى الحديث ..

حرب خاضها جنود بواسل وخاضتها دولة، تحارب من أجل الحق والحرية والكرامة ..

وبقدر ما عرفنا وقرأنا عن الحرب، غابت عنا ولم تزل قصص أخرى، إنزاح أبطالها ورضوا بالصمت، على الرغم من كل ما فعلوه وأعطوه، وهنا نكشف الستار عنهم لأول مرة ..

عن أولئك الذين لا نتردد لحظة فى أن ننحنى أمام عظمة ما قاموا به من أجلنا ..

عن الأبطال ..

أبطال مصر..

د. نبيل فاروق

١- الشدائد و الرجال

"عند الشدائد، يظهر الرجال.."..

تلك الحكمة القديمة، كانت أوّل ما قفز إلى ذهنى، وأنا أقرأ، منذ ما يقرب من ربع قرن من الزمان، أحد الكتب العديدة، التى ظهرت بعد انتصار أكتوبر ١٩٧٣م، وكان يحوى بين غلافيه ملخصاً موجزاً، لعدد من العمليات المخابراتية، التى مهّدت أو ساهمت فى تحقيق الانتصار..

أيامها بدأ شغفى بعالم الجاسوسية والمخابرات، ورحت ألتهم فى نهم محتويات الكتاب، وأنتقل من عملية إلى أخرى، والحماس يسرى فى كيانى، ويخفق مع قلبى، وينتقل منه ليغزو كل خلية فى جسدى..

ثم توقّفت طويلاً أمام عملية بعينها..

عملية، وجدت نفسى أقرأها بعناية أكثر، واهتمام أشد، وأعيد قراءتها مرة.. ومرة.. ومرات..

وفى كل مرة أعيد قراءتها، كان شغفى يتضاعف، وانبهارى يتزايد، وحماسى يبلغ الذروة، ويكاد يخترق قمتها، لينطلق منها إلى عالم بلا حدود..

هذا لأن تلك العملية بالذات، كانت تختلف كثيراً، عن كل ما يحويه الكتاب من عمليات، بذل خلالها رجال المخابرات المصرية، الحربية والعامة ، كل جهدهم، وطاقاتهم، بل وأرواحهم أيضاً ؛ فى سبيل تحقيق النصر، وبلوغ الهدف، الذى تصوّر الكل أنه من رابع المستحيلات..

كانت تختلف؛ لأن الذين قاموا بها ليسوا من المحترفين أو المدربين، وإنما هم أفراد من الشعب..

أفراد مثلى ومثلك، عاشوا أحلك شعور فى الوجود..

شعور الاحتلال، والقاهر ، والسقوط فى قبضة عدو غادر لا يرحم ..

عاشوه دون أن ينهاروا، أو يتحكطّوا، أو يستسلموا، بل ثبتوا، وتماسكوا، وقرّروا أن يقاوموا ويقاتلوا، حتى آخر ذرة فى أجسادهم، وآخر قطرة دم فى عروقهم، وآخر نفس يتردّد فى صدورهم..

انبهرت بالعملية، وحفظت أسماء أبطالها عن ظهر قلب، قبل أن تمر سنوات وسنوات، وتختفى القصة فى أعماقى، تحت أطنان من عمليات الجاسوسية، وكتب فن وتقنية المخابرات،

التى احتشد بها رأسى، وتغلغلت فى أعماقى ووجدانى، و...
ومنذ عام واحد تقريباً، وفى برنامج تليفزيونى شهير، يقدِّمه الزميل (إبراهيم عيسى)، كنا نتحدّث عن عالم المخـابرات، وحرب أكتوبر، عندما صعدت تفاصـيل تلـك العمليـة مـن أعماقى، وتصاعدت إلى رأسى، حاملـة معهـا كـل الانبهـار والحماس القديم، فانطلق لسانى يصف الموقف، والمشاعر، والبطولة، وحاملاً معلوماتى المحدودة عن العمليـة نفـسها، فى حدود ما كنت أعرفه عنها أيامها فحسب..
وكانت هذه هى البداية الفعلية..
ففى اليوم التالى مباشرة، تلقيت اتصالاً من الأستاذ (فـضل عبد الله)، الذى أبلغنى أنه أحد أفراد العملية، الـذين تـابعوا ما قلته عنهم، على شاشة التليفزيون، وقرّروا أن يمنحـونى قصتهم، لتجد طريقها إلى النشر، على نحـو مناسـب، بعـد ثلاثين عاماً من انتصار أكتوبر ١٩٧٣م..
وزارنى الأستاذ (فضل) فى مكتبى، بـصحبة ابنـه (أحمـد) ؛ ليعطينـى ملخـصاً للعمليـة كلهـا، كتبـه أفـراد المجموعـة بأنفسهم، كدليل يقودنى إلى التفاصيل الفعلية، دون الدخول فى التفاصيل الدقيقة ، الخاصة بعلاقة المجموعة بالمخـابرات الحربية فيما بعد، عندما انتقلت العملية إلى الإطـار الرسـمى، فى مراحلها الأخيرة..
يومها تحدّثنا كثيراً، ووضعنا بعض النقاط على الحـروف، ثـم اتفقنا فى النهاية على أن أسافر إليهم فى مدينة (العـريش)، فى شمال (سيناء) ؛ لألتقى بأفراد المجموعة؛ وأسـمع مـنهم شخصياً القصة كلها..
وسافرت بالفعل إلى (العريش)، ورحت أعيد قـراءة أوراقهـم طوال الطريق، من (القاهرة) إلى هنـاك، ليطـرح عقلـى ألـف تساؤل وتساؤل..
وفى (العريش)، كان اللقاء..
اللقاء مع (عبد الحميد الخليلى)، و(أسعد عبد الحميد محمود)، و(فضل محمـد عبـد الله).. آخـر مـن تبقّـى مـن مجموعـة (العريش)، بعد رحلة كفاح، ومقاومة، وانتصار طويلة..
وداخل حجرة بسيطة أنيقة، ومع أكواب الشاى الـساخن، دار جهاز التسجيل، وبدأت المجموعة تروى..
تروى قصة أروع مقاومة شعبية، ضد الاحتلال الصهيونى، فى

قلب (سيناء) المحتلّة..

على الإطلاق...

* * *

"كانت البداية عقب احتلال (العريش) مباشرة، فـى يونيـو ١٩٦٧م.."

هكذا بدأ الحاج (عبد الحميد الخليلى) حديثه، وهـو يـصف كيف كانت المفاجأة عنيفة قاسـية، بعـد أن راحـت القيـادة السياسية، لأسابيع عديدة، تصول وتجـول، وتهـدِّد العـدو الصهيونى، وتتوعّد بإلقاء (إسـرائيل) فـى البحـر، وتطالـب بسحب قوات الطوارئ الدوليـة، وتعلـن أنهـا قـادرة علـى دخول (تل أبيب)، خلال أيام قليلة من القتال..

ومع الخطب الحماسية، والكلمات الفخمـة الرنّانـة، تفجّـر حماس الجماهير، واشتعلوا، وباتوا ينتظرون بـدء الحـرب؛ لتحطيم العدو، الـذى يحتـل (فلـسطين) ويـشرِّد أبناءهـا، ويهـدد اسـتقرار المنطقـة كلهـا، منـذ سـنوات طـوال..

ثم جـاء صـباح الخـامس مـن يونيـو ١٩٦٧م، ووقعـت الضـربة العسكرية، ولكن فى عكس الاتجاه، الذى انتظره وتمنـاه الكل..

وفى أيام قليلة، اجتاح الجيش الإسرائيلى (سيناء)، قبل حتـى أن يجد جيشنا الفرصة للقتال، والتصدِّى للعدو، فى ظلّ تخبّط القيادة، وضعف خبرتها ودراستها..

وكانت أسـود لحظـات العمـر، كمـا يـصفها (عبـد الحميـد الخليجى)، مؤسِّس المجموعة، وقائدها، وعقلها المفكِّر، عندما شاهد الجنود الإسرائيليين، وهم يقتحمون (العريش) ويقتلون كل من يعترض طريقهم، دون أدنى رحمـة أو شـفقة، حتـى الأسـرى مـن الجنـود والـضباط المـصريين، الـذين ألقـوا أسلحتهم، بعد مقاومة عنيفة..

حتى هؤلاء، قتلهم جنود العدو بلا رحمة، وبـلا أدنـى احتـرام للمعاهدات والمواثيق الدولية..

وجرت الدماء الطاهرة أنهاراً، فى شوارع (العريش)، فى نفس الوقت الذى راح فيه جنود العدو يتجولون فى كل مكان، فـى زهو ظافر منتصر، وهـم يحملـون أسـلحتهم، التـى يتـصاعد الموت من فوهاتها، وقد أيقنوا من أنهم قد وضـعوا أقـدامهم الدنسة على أرض مصرية، ولن يغادروها بعد هذا قط..

وتفجَّر الغضب كالحمم، فى عروق (عبد الحميد)، ووجد نفسه يقسم فى أعماقه، على ألا يمنح جنود العدو الفرصة، للسير بهدوء واطمئنان فى شوارع مدينته، ما دام فى جسده عرق ينبض..

فى تلك الأيام العصيبة، كان بعض الجنود والضباط المصريين قد حوصروا فى مدينة (العريش)، بعد أن أصيبوا إصابات جسيمة، منعتهم من الانسحاب مع أقرانهم، ولما كان العدو يقيم مجزرة بشعة للأسرى، فقد قام بعض المواطنين بنزع الثياب العسكرية للضباط والجنود المصابين، ومنحوهم بدلاً منها ثياباً مدنية، ونقلوهم إلى المستشفى لتلقِّى العلاج، فى واحدة من أروع صور التعاون والتضامن، بين الجيش والشعب، فى أحلك الظروف والمواقف..

ومن وجهة نظر (عبد الحميد)، لم يكن هذا الإجراء كافياً، على المدى الطويل، إذ سرعان ما يستقر العدو فى المدينة، ويبدأ فى مراجعة أوراق المصابين، وفحص هوياتهم، وعندئذ ينكشف أمر الجنود والضباط المصابين، والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم، ما الذى يمكن أن يفعله بهم الإسرائيليون عندئذ..

وهنا كانت البداية..

ومن موقعه، كموظف ببلدية (العريش)، استطاع (عبد الحميد) الاستيلاء على بعض أوراق البطاقات الشخصية الرسمية، وختمها بخاتم النسر، ثم راح يصنع بطاقات زائفة لضباط وجنود الجيش المصابين، توحى بأنهم من الموظفين المدنيين، الذين كان أغلبهم – حينذاك – من خارج المدينة..

ويقول (سعد محمود) إنه، فى تلك الفترة، ذهب لزيارة صديق وزميل عمره (عبد الحميد)، فى منزله الكائن فى ذلك الشارع، الذى يحمل اسم شقيقه الشهيد (محمد عبد الله الخليلى)، ودار الحديث بينهما عما حدث، وعن مفاجأة الاحتلال، ثم طلب منه (عبد الحميد) بعدها أن يصحبه إلى مستشفى (العريش) الأميرى؛ لزيارة بعض المرضى..

وزار (سعد) المستشفى مع (عبد الحميد)..

زارها مرة.. ومرة.. ومرات عديدة، ليلاحظ أن الهدف الحقيقى، من تلك الزيارات، كان تقديم العون للضباط والجنود

المصابين، وتزويدهم بالمال، والأزياء المدنيةً، والبطاقات الشخصيةً، التى أتاحت لهم مغادرةً (العريش)، لاستكمال علاجهم فى (القاهرةً)، عن طريق الصليب الأحمر، باعتبارهم من المدنيين..

وصارح (سعد) صديق عمره بما لاحظه، فأبلغه (عبد الحميد) صراحةً أنه يرغب فى تعاونه معه، للتصدِّى للاحتلال، بكل الوسائل والسبل المتاحةً..

فى تلك الليلةً، سهر (عبد الحميد) و(سعد) معاً حتى الصباح، فى منزل الأوّل، ودار بينهما حديث طويل، ومناقشات مستفيضةً؛ لدراسةً ما يمكنهما عمله، ولوضع الأسس الأوّليةً لخطةً الكفاح، التى ستستمر بعد هذا لسنوات وسنوات..

فى البدايةً، لم يكن أمامهما سوى كتابةً وتوزيع المنشورات، التى تدعو المواطنين إلى الصمود، وتحثّهم على التصدِّى للعدو، ومقاومته فى كل ما يسعى إليه، حتى لا يستقر به المقام فى (العريش)، ولا يهنأ له العيش فى (سيناء) أبداً..

ولأنه لم يكن لديهما ما يكفى ، من التمويل والإمكانيات، راح الصديقان يكتبان المنشورات بخط اليد، وينسخانها بأوراق الكربون العاديةً، بأعداد محدودةً للغايةً، حاولا التغلُّب على محدوديتها بنظام توزيع دقيق ومدروس، بحيث تؤدّى الغرض منها تماماً، لذا فقد راحا يضعانها فى الأماكن المزدحمةً، والتى يقصدها الناس عادةً، كالمساجد والأسواق والمقاهى، ويدسّونها فى منازل أولئك، الذين اشتهروا بالثرثرةً، وبعدم القدرةً على كتمان أيةً أسرار..

كان هذا يتطلّب متابعةً منتظمةً لمشكلات المواطنين، فى ظلّ الاحتلال، والطرق على كل ما يمكن أن يثير اهتمامهم، ويستثير حماستهم فى الوقت ذاته..

وكانت النتائج مدهشةً..

المنشورات جذبت اهتمام الكل بشدةً، واعتبرها الجميع شعاع أمل، وسط ظلمةً الاحتلال، فشغفوا بتداولها وترديدها، بل ونسخها وإعادةً توزيعها أيضاً، مما أصاب العدو بهستيريا الغضب، فانطلق فى حملات مسعورةً للتفتيش والاعتقالات ؛ بحثاً عن أصحاب المنشورات ، الذين اختاروا لأنفسهم اسم

(لجنة أبناء "سيناء" الأحرار)..
اختيار الاسم نفسه كان دقيقاً للغاية، فقد ابتكره قائد التنظيم، وعقله المفكِّر، (عبد الحميد الخليلى)، باعتبار أنه من الضرورى أن يكون العمل أكبر من الاسم، وليس العكس..
ولأن الأمر كان أكبر وأصعب من أن يتولاّه رجلين فحسب، فقد قرّر (عبد الحميد) و(سعد) ضم عناصر أخرى للمجموعة، بشرط التأكُّد من أنها عناصر وطنية، نشيطة، قادرة على العمل فى صمت، من أجل الوطن..
وبينما يبحث الاثنان فيما حولهما، فوجئ (عبد الحميد) بزميل عمله (عادل محمد الفار)، ينفرد به فى مكتبه، ثم يعطيه بعض الأوراق، التى تحوى أبياتاً من الشعر الوطنى، الذى يهاجم العدو، ويطالبه بنسخها على الآلة الكاتبة، التى يعمل بها، لتوزيعها فى (العريش)، أسوة بأولئك الشباب الأحرار، الذين يثيرون جنون العدو بمنشوراتهم..
وعلى الرغم من أن (عبد الحميد) لم يتدرَّب قط على أساليب عمل المخابرات، ومن أن خبرته لا تتعدى كونه مجنداً سابقاً، إلا أن فطرته وذكاءه جعلاه يتعامل مع (عادل الفار) بمنتهى الحذر، ويسأله عن السر فى اختياره للقيام بعملية نسخ أبيات الشعر بالذات، فأجابه (عادل) بأنه يشعر فى أعماقه أنه وطنى مثله، وأنه لن يتردَّد أبداً فى العمل من أجل وطنه، إذا ما اقتضت الحاجة..
ورويداً رويداً، راح (عبد الحميد) يدرس شخصية (عادل)، وتعمّد أن يحذِّره ، من نشر وتوزيع تلك الأبيات، التى يمكن أن تثير غضب العدو، وتدفعه إلى الانتقام، ولكن (عادل) أصرّ على الموقف، وأكّد له أن الموت فى سبيل الوطن شرف وواجب..
وهنا، صارحه (عبد الحميد) بالأمر، ولكنه لم يبلغه أن يرأس المجموعة، وإنما حدّد له موعداً للقاءً فى منزله، فى الليلة نفسها..
وفى المساء، عرف (عادل الفار) الحقيقة، وطار قلبه من الحماس، وأقسم على الإخلاص والعمل، من أجل الوطن، وقرّر مع (عبد الحميد) و(سعد) السعى لجذب عناصر وطنية أخرى للمجموعة..

والواقع أنه كان هناك آخرون، يعملون فى نشاط المقاومة نفسه، بسبل بسيطة ومتواضعة، وكان (عادل) على معرفة بهم، لذا فقد قرّر أن يضمهم إلى المجموعة، ليصبح العمل جماعياً نشطاً..

وخطوة خطوة، وبذلك التروّى الحكيم، الذى اشتهر به (عبد الحميد) بدأت عملية دراسة للمرشحين، ثم تم اللقاء بهم واحداً بعد الآخر، لينضم إلى المجموعة (رشاد خليل حجاب)، و(فضل عبد الله حسين المغازى)، و(محمد حجاج مصطفى)..

وفى الليلة التى اجتمعت فيها المجموعة كاملة، لأوّل مرة، أقسم الجميع على المصحف، بالحفاظ على أسرار التنظيم، وأسماء أعضائه، وعدم الإعلان عن طبيعته وأعماله، أو عن أية تنظيمات أخرى تتعاون معه، حتى بعد أن يتم التحرير، باعتباره عملاً خالصاً، لله والوطن..

وهكذا، اكتمل التنظيم، وتحدّدت أهدافه، وتوسّعت عملياته أيضاً..

وكبداية لهذا التوسّع، أدرك الكل أن الاستمرار فى كتابة المنشورات، ونسخها بالكربون، لا يكفى لتحقيق الأهداف المطلوبة، لذا فقد قرّرت المجموعة الحصول على ماكينة طباعة (استنسل)، وهى الوسيلة الوحيدة، التى كانت متاحة حينذاك..

ومع بعض الجهد، علموا بوجود ماكينة (استنسل)، فى إحدى المصالح الحكومية المتحفّظ عليها، فأعدوا خطة للاستيلاء عليها ليلاً..

وفى المساء، استدرج بعض أفراد المجموعة غفير الحراسة بعيداً، فى حين استخدم الباقون مفتاحاً مصطنعاً، دخلوا به إلى المكان، وحملوا ماكينة الطباعة فى جوال قديم، لا يمكن أن يثير الشبهات، وأعادوا إغلاق المبنى، ثم أسرعوا إلى المكان الذى أعدوه لطباعة المنشورات، فى منزل (سعد عبد الحميد)، فى الشارع الرئيسى لمدينة (العريش)..

وبدقة مدهشة، تم وضع نظام دقيق للاجتماعات، التى تتم فى منزل (عبد الحميد)، بحيث يصل أفراد المجموعة وينصرفون، دون أن يشعر بهم أحد، فى نفس الوقت الذى تم فيه تجهيز مكان الطباعة، وتزويده بمخزن سرى، يمكن

أن تختفى فيه الماكينة، ومستلزمات الطباعة، بحيث يصعب أن يعثر عليها العدو..

وبعقلية (عبد الحميد) المنظّمة، تم تقسيم المدينة إلى ستة أقسام، بحيث يتولّى كل منهم قسماً بعينه، يقوم بتوزيع نصيبه فيه من المنشورات، التى تضاعفت أعدادها عشرات المرات، مع وجود ماكينة طباعة (الاستنسل)..

وبعد كل مرة، كان أفراد المجموعة، يتفرّقون، ولا يلتقون ببعضهم البعض، حتى تنتهى هستيريا العدو، وتخف إجراءات أمنه العنيفة، ثم يجتمعون بعدها لمناقشة وتقييم ما حدث..

وكان العدو نفسه يمنحهم تقييماً واضحاً لما فعلوه؛ إذ كلما كانت لمنشوراتهم تأثيرات أقوى، كانت سلطات الاحتلال تتصرّف بعنف أكثر، وشراسة أكبر، فتقوم بتمشيط المدينة، والسعى لاستعادة المنشورات من أيدى المواطنين بأى ثمن..

وفى واحدة من حملات الاعتقال، تم إلقاء القبض على أحد أفراد المجموعة..

على (رشاد حجاب)..

واجتمع أفراد المجموعة على نحو عاجل، وناقشوا عملية اعتقال (رشاد)، دون أن تراودهم ذرة واحدة من الشك، فى أنه لن يشى بهم، مهما فعل الإسرائيليون معه أو به، وقرّروا تكثيف حملاتهم ومنشوراتهم، طوال فترة اعتقاله، حتى تبتعد عنه الشبهات..

كانت فترة تضاعف خلالها الجهد، والنشاط.. والخطر أيضاً، ولكنها أثمرت نجاحاً منقطع النظير، عندما تم الإفراج عن (رشاد)، دون أن توجّه إليه أية اتهامات..

وبعد الإفراج عن (رشاد) بفترة معقولة، دعا (عبد الحميد الخليلى) المجموعة إلى الاجتماع، لمناقشة ما ينبغى فعله، فى المرحلة التالية..

كان الجميع متحمسين للانتقال إلى مرحلة جديدة، ولكنهم رأوا أن أوّل ما ينبغى فعله، هو السعى للاتصال بالقيادة السياسية فى (القاهرة)؛ لإبلاغها بمجهوداتهم، وتلقّى أوامرها، فيما ينبغى فعله، فى المرحلة التالية من المقاومة..

ومن خلال وسائل شتى، ومساعدات وطنية صادقة، تم إرسال

بعض الرسائل، التى وصلت إلـى المـسئولين، وإلـى لجنـةً (سيناء) فى الاتحاد الاشتراكى، والتى قام أمينها - آنذاك - الأستاذ (عـواد خليـل أبـو سـلمةً) بـالرد عليهـا، وإرسـال توجيهات بما ينبغى نقله إلـى المـواطنين، عبـر منـشورات مجموعةً (العريش)..

ثم حدث أفضل اتصال، بالنسبةً للمجموعةً كلها..

اتصال مع إذاعةً صوت العـرب مباشـرةً، مـن خـلال ابـن (سيناء)، الأستاذ (حلمى البلك)، الذى أولـى الأمـر اهتمامـاً كبيراً، وبذل من أجله مجهوداً جباراً، خاصةً وأنه كان يقـدِّم فى تلك الفترةً برنامجاً إذاعياً شهيراً، يحمل اسم (الـشعب فى سيناء)، وكان يذيع منشورات وخطابات المجموعةً فـى برنامجه، الذى كانت تستمع إليه (سيناء) كلهـا، باعتبارهـا بيانات صادرةً عن (لجنةً أبناء سيناء الأحرار)..

ولا أحد يتصوِّر كم كان لهذا من أثر طيب وقوى، فى نفوس المجموعةً كلها، حتى أنهم ما زالـوا يحملـون كـل التقـدير والاحترام إلى الأستاذ (حلمى البلك)، حتى هذه اللحظةً..

وهناك أمر آخر، ولفتةً كريمةً أخـرى، خفقت لهـا قـلوبهـم جميعاً، فى لك الفترةً حالكةً السواد..

ففى تلك الفترةً، كان الزعيم الراحل (جمال عبد الناصر) يوجِّه دائماً فى خطبه السياسيةً تحيةً لأبناء الأرض العربيةً المحتلّةً، فى (القدس) والضفةً الغربيـةً و(غـزةً)، دون أن يـذكر أبنـاء (العريش)..

وفى رسالةً منهم إلى (القاهرةً)، أرسلت المجموعةً عتاباً إلـى الرئيس، وطالبته بإرسال تحياته إلى أبناء (العريش) أيضاً..

وفى أوّل خطبه للرئيس (جمال)، أرسـل التحيـةً بالفعـل إلـى أبناء (العريش)؛ ليؤكِّد للأبطال أنه لم ينـسهم، ولـم تنـسهم (مصر) أبداً..

تلك الخطوةً أثلجت قلوب الرجال، وجعلتهم يتخذون قـراراً، طال شوقهم وانتظارهم إليه..

قرار الانتقال بالعمليةً إلى مرحلةً جديدةً..

مرحلةً الكفاح المباشر..

والمسلّح.



٢ - حي على السلاح

الانتقال، من مرحلة طباعة وتوزيع المنشورات، المناهضة للاحتلال الصهيونى، إلى مرحلة الكفاح المسلَّح، ليس بالأمر الهين أو البسيط أبداً؛ فالأمر ليس مجرَّد رغبة عارمة، تدفعك للانتقال من نقطة إلى أخرى، ولا هو مجرَّد تحوّل فى مسار الأحداث..

إنه - فى الواقع - منعطف بالغ الحساسية والخطورة، والانتقال بالأحداث كلها، من مواجهة محدودة، قد تثير فى نفس العدو قيراطاً من الغضب، إلى مواجهة عنيفة، ستفجِّر فى أعماقه آلاف الأفدنة من الثورة، وستجعله يضاعف وحشيته وشراسته ألف ألف مرة، ليبحث عن أولئك المسلحين بأى ثمن..

والكل يعلم ما الذى يمكن أن يعنيه مصطلح (أى ثمن)، فى ظروف وأيام سوداء عسيرة كهذه!!..

لذا، فالقرار الذى اتخذته مجموعة (العريش)، بالانتقال إلى مرحلة الكفاح المسلَّح، كان قراراً مصيرياً وخطيراً..

وإلى أقصى حد..

فمن الناحية العملية، وباستثناء خبرة (عبد الحميد) المحدودة، كمجَّند سابق، ومتطوِّع فى الدفاع المدنى، كانت المجموعة كلها تجهل كل شئ عن الأسلحة أو المتفجرات، واستخداماتها الآمنة والفعَّالة..

ثم أنها كانت تفتقر إلى الأسلحة والذخائر اللازمة، للانتقال إلى هذه الخطوة الحاسمة الحازمة..

ولكن القاعدة تقول: "اسع يا عبد، وليكن الله (سبحانه وتعالى) فى عونك"..

ففى نفس الوقت، الذى تقرَّر فيه الانتقال إلى تلك المرحلة المسلَّحة، عثر أحد أفراد المجموعة على عدد من قذاف الهاون، مدفونة فى أرضية مبنى مهجور، على ساحل البحر..

واجتمعت المجموعة كلها، وقرَّرت الحصول على تلك القذائف، واستخدام المتفجرات داخلها ؛ لصنع القنابل التى يحتاجون إليها، فى مرحلة الكفاح المسلَّح..

وفى الصباح التالى، اتجهت المجموعة كلها إلى الشاطئ، وبدت أشبه بفريق من الشباب العابث، يعدو ويمرح على الرمال، فى حين كان الواقع أن معظم الأفراد يجذبون انتباه

العدو بعبثهم المصطنع، فى الوقت الذى يفحص فيه (عبد الحميد) القذائف، وينقلها إلى الحقائب، بمعاونة صديق عمره وزميله (سعد)..

ويضحك الحاج (سعد)، عندما يصل بروايته إلى هذه النقطة، قبل أن يعلّق قائلاً: "كنا مجانين بحق، عندما حملنا قذائف الهاون فى حقائبنا العادية، التى عبرنا بها نقاط التفتيش الإسرائيلية، لنصل سالمين إلى منزل والدتى، التى أخفوا لديها القذائف (دون علمها بالطبع)"..

ومع اطمئنانهم إلى توافر المتفجرات ، بدأ أفراد المجموعة يخططون لأوّل عملية مسلحة، تعلن عن وجودهم، وعن انتقالهم إلى تلك العملية الجديدة..

وبخبرة (عبد الحميد)، ومعاونة خاله وصهره الحاج (عطا الله محمد الرطيل)، أخرجت المجموعة المادة المتفجّرة من قذائف الهاون، وحصلت على الصواعق الناسفة، وبعض أنواع الفتيل المختلفة، استعداداً لنسف الهدف الأوّل..

ففى تلك الفترة، كان العدو قد افتتاح مكتباً فى مدينة (العريش)؛ لجلب العمال للعمل فى قلب (إسرائيل)، بأجور مغرية للغاية، فى وقت لم تكن فيه هناك عمالة كافية، فى (إسرائيل) نفسها..

وقرّرت المجموعة نسف مكتب العمل الإسرائيلى، كرمز لرفض التعاون مع العدو، وتحذير لكل من تسول له نفسه العمل لديه..

ودوى أوّل انفجار، فى قلب (العريش)، بعد سقوطها فى قبضة العدو الصهيونى..

وتم نسف مكتب العمل الإسرائيلى ليلاً، حتى لا يصاب فى العملية مدنى واحد من أبناء (العريش)، ولو بالمصادفة البحتة..

وفهم العدو الرسالة، واشتعل غضبه أكثر وأكثر، وانطلق جنوده كالوحوش الكاسرة، يقتحمون المنازل، ويعتقلون المواطنين، ويهددون ويتوعدون الكل بالويل والثبور، و...

ووسط كل هذا، قامت مجموعة العريش بالعملية الثانية..

كان مكتب بريد (العريش) يقوم بصرف رواتب العمال، الذين يعملون فى قلب (العريش)، لذا فقد قام بعض أفراد المجموعة، ومنهم (فضل عبد الله)، و(سعد عبد الحميد)،

بإلقاء عبوة شديدة الانفجار ليلاً، داخل مكتب البريد، لتنفجر انفجاراً عنيفاً، أيقظ (العريش) كلها، وأعلن مرة أخرى أن (مجموعة العريش) ما زالت قوية صامدة، تبر بذلك القسم، الذى أقسمته يوماً، على ألا يهنأ للعدو بال فى (سيناء) أبداً..

وجن جنون سلطات الاحتلال فى (العريش)، وراحت مرة أخرى تهدّد وتتوعَّد، وتعتقل، وتستجوب بمنتهى العنف والشراسة والوحشية، فى نفس الوقت الذى بدأت فيه تتبع سياسة جديدة، تعتمد على نقل الأعمال الإسرائيلية إلى (العريش)، بدلاً من نقل العمالة إلى (إسرائيل)..

كان هذا، بالنسبة لها، حلاً مثالياً ، لامتناع أبناء (العريش) عن السفر إلى (إسرائيل)، وتوفيراً لنفقات رجال الأعمال الإسرائيليين، فى الوقت ذاته..

وبدأت المصانع الإسرائيلية تنتقل إلى (العريش)، ومن بينها مصنع أثاث إسرائيلى شهير، يُدعى (كاستلا)..

وانتظرت مجموعة (العريش)، حتى استقر المقام للمصنع، واستعد لإخراج أوّل إنتاجه، ثم هاجمته فجأة بمتفجراتها، فى نفس الوقت الذى هاجمت فيه مبنى الإدارة المدنية للعدو، والذى يقع فى المنطقة نفسها..

وقبل أن يبدأ العدو تحقيقاته، بشأن نسف المصنع، وانفجار مبنى الإدارة المدنية، فاجأته مجموعة (العريش) بعملية أخرى، أكثر جرأة وخطورة..

لقد نسف بعض عناصرها قاعدة برج اتصالات رئيسى، يحمل الكابلات التى تربط العدو بقياداته، فى قلب (إسرائيل)..

وأصلح العدو البرج، ووضع عليه حراسة مشدَّدة، ولكن أبطال مجموعة (العريش)، الذين ذاقوا حلاوة النضال والنصر، قرَّروا تحدّى العدو، وإفقاده الشعور بالأمان تماماً، فنفذوا عملية ثانية ناجحة، ونسفوا قاعدة البرج نفسه مرة أخرى.

ويبتسم (فضل عبد الله)، عندما يتذكَّر تلك المرحلة، ويقول:

" إن نجاح عمليات المجموعة، ضاعف من حماسها ونشاطها، وجعل كل فرد من أفرادها يفكِّر طوال الوقت فى هدف جديد، يمكن تدميره، لإثارة غضب العدو وحنقه، وبث الرعب فى عروقه، وإقناعه بأن أيام الأمن والهدوء والاستقرار قد ولّت إلى الأبد، ولن تعود مرة أخرى.. أبداً.." ..

وفى كل مرة، كانت المجموعة تجتمع، فيطرح كل فرد من أفرادها الهدف الذى اختاره، وتدور بينهم محاورات ومناقشات، حتى تتفق الآراء كلها على هدف واحد..

ثم يتم التنفيذ..

وفى كل عملية، كان أفراد مختلفون يقومون بالمهمة، فى حين يتولّى الآخرون مهام الحماية، والتغطية، وتنظيف الأرض بعد العودة..

ويضحك الحاج (سعد)، وهو يقول: "كنت القاسم المشترك، فى معظم العمليات"، ويضيف (فضل) أنه كان يشعر دوماً بالاطمئنان، عندما يصحبه فى العملية عم (سعد)، الذى يكبره بعشر سنوات تقريباً..

وعلى الرغم من الحملات المسعورة، التى قام بها العدو؛ للبحث عن المسئولين عن هذه التفجيرات، ومحاولاته المستميتة لكشف أمرهم، نفذت مجموعة (العريش) عملية أخرى، ونسفت برج كهرباء مجاور لمحطة التوليد الكهربى شرق (العريش)، كان يقوم بتغذية معسكرات العدو، وثلاجات حفظ الأطعمة، الخاصة بالجيش الإسرائيلى..

وفى هذه العملية، استخدم أفراد المجموعة، ولأوّل مرة، مؤقتاً زمنياً بسيطاً، ابتكرته قريحة (عبد الحميد)، من أدوات بسيطة للغاية..

وبدأ الإحباط واليأس يتسلّلان إلى أعماق سلطات الاحتلال، التى عجزت تماماً عن كشف أفراد المجموعة، أو إيقاف عملهم، على الرغم من وصول فريق تحقيق خاص من (تل أبيب)، بذل جهداً خرافياً، واستخدم أساليباً غاية فى العنف والوحشية، لاستجواب كل من وقع فى يده، دون طائل..

ومع عنف العدو، وشراسته المتزايدة المتصاعدة، قرّرت المجموعة نقل عملياتها خارج نطاق (العريش) ؛ لتشتيت انتباهه، وإبعاد أنظاره عن المدينة لبعض الوقت..

فى تلك الفترة، كان العدو يجهّز الأرض؛ لإقامة قاعدة جوية، فى منطقة (الجورة)، بالقرب من قرية الشيخ (زويد)، التى تبعد خمسة وثلاثين كيلو متراً عن (العريش)..

وبعقلية منظمة، وأسلوب دقيق مدروس، يستحق الاحترام والإعجاب، راقبت المجموعة المنطقة لعدة أيام، قبل أن يقوم بعض أفرادها بزرع لغم مضاد للسيارات، فى مدق

ترابى، يستخدم العدو لبلوغ المنطقة يومياً..
وانفجر اللغم، لينسف واحدة من سيارات (الجيب) العسكرية للعدو، ويقضى على من فيها تماماً..
وفى الوقت نفسه، وقبل أن يلتقط العدو أنفاسه، قامت المجموعة بنسف خط مياه رئيسى، يمد مطار (العريش)، ومنطقة (بغداد)، و(الجفجافة) ووسط (سيناء) بالحياة..
وفى هذه المرة، تم استخدام عبوتين ناسفتين، من مادة شديدة الانفجار، بحيث يتم انفجارهما فى آن واحد..
ونجحت العمليتان، على الرغم من حراسات العدو واحتياطاته، وأصدرت القيادة العسكرية الإسرائيلية بياناً بهما، كما أصدرت بياناتها عن كل العمليات السابقة أيضاً..
وانتشى أفراد المجموعة بتلك البيانات، التى اعترف فيها العدو بخسائره وببطولتهم، على الرغم من وصفه لهم بالإرهابيين..
ويهزّ الحاج (عبد الحميد) رأسه، وهو يقول: "إن ما يقال عن تفوّق جهاز المخابرات الإسرائيلى مجرّد وهم، فقد تم استجواب أفراد المجموعة عدة مرات، من قبل محترفين إسرائيليين، دون أن يوجه لنا اتهام واحد، مما يعنى أنهم لم يكونوا بالكفاءة اللازمة لكشف أمرنا."..
ومع الانتصارات المتوالية، قرّر قائد المجموعة (عبد الحميد الخليلى)، ضرورة إجراء اتصال مباشر، مع المخابرات الحربية المصرية..
وكان هذا يعنى ضرورة السفر إلى (القاهرة)، فى أقرب وقت ممكن..
وبوساطة خطابات سرية، واتصالات غير مباشرة، تلقّى (عبد الحميد) دعوة من بعض أقاربه، لزيارتهم فى (القاهرة)..
ولأن ملفه لم يكن يحمل أية اتهامات لدى الإسرائيليين، حصل (عبد الحميد)، قائد مجموعة (العريش) وعقلها المفكّر، على تصريح بالسفر إلى (القاهرة)، عن طريق منظمة الصليب الأحمر..
وفور وصوله إلى (القاهرة)، اتجه (عبد الحميد) مباشرة إلى اللواء (محمد عبد المنعم القرمانى)، محافظ (سيناء)، ليشكره على كل ما قدّمه ويقدّمه لأبناء المدينة المحتلة، والذى لم تنسه مجموعة (العريش) أبداً، ولم تتوقّف عن تقديم

الشكر والاحترام والتقدير من أجله، حتى هذه اللحظة..
وبعدها، وبأقدام ثابتة، وصورة واضحة جلية، اتجه (عبد الحميد) إلى المخابرات الحربية المصرية..
وكان اللقاء هناك حاراً بالفعل..
فالمخابرات كانت تتابع عمليات (مجموعة العريش)، بكل الاهتمام والتقدير، وتسعى بكل طاقاتها، وبكل إمكانياتها، لتحديد أفرادها، وإيجاد وسيلة للتعاون معهم، ومدهم بكل ما يحتاجون إليه، من خبرة وعتاد ومعدات..
وكانت صعوبة كشفهم هى أكبر دليل، لدى المخابرات الحربية، على براعة أفراد المجموعة، والتزامهم، وقدرتهم على مراوغة العدو الصهيونى، فى قلب الأرض المحتلّة..
أما (عبد الحميد)، فيقول: "لقد انبهرت تماماً، عندما وجدت فى المخابرات الحربية المصرية ملفات كاملة عن كل أفراد المجموعة، مع إشارة إلى احتمال كونهم ضمن (لجنة أبناء سيناء الأحرار) "..
لحظتها شعر (عبد الحميد)، على حد قوله بالفخر والزهو والاعتزاز، لأن مخابرات وطنه كانت أبرع من مخابرات العدو، على الرغم من وجودها على بعد آلاف الكيلومترات من (العريش)..
ولحظتها أدرك أيضاً أن التعاون سيكون حتماً مثمراً..
وإلى أقصى حد..
وفى المخابرات الحربية، تحدّث الرجال مع (عبد الحميد) طويلاً وكثيراً؛ ليضعوا النقاط على الحروف، ويرسمون معاً خطوات المرحلة القادمة، وقواعد العمل فى فترة الانتظار، وعندما تحين ساعة الصفر، الذى ينتظرها كل مصرى بفارغ الصبر..
كانت المعلومات عديدة وغزيرة ومرهقة، ولكن عقل (عبد الحميد) المدرّب بالفطرة، والمنمّق بدقة مدهشة، استوعب الأمر كله، وعاد إلى (العريش)، وهو يحمل الأنباء الطيبة لأفراد المجموعة..
إنهم يعملون الآن تحت علم الوطن، وتحت إشرافه ورعايته أيضاً..
وكانت مفاجأة قوية وسعيدة للجميع..
مفاجأة جعلتهم يقررون القيام بعملية جديدة، أكثر قوة وتأثيراً

لإعلان أنهم كفء لما اختارهم له الوطن..
ومع ما وصلهم من إمدادات، وما أتيح لهم من إمكانيات جديدة، وقع اختيار أفراد المجموعة على معسكر هام لجيش الاحتلال، يقع خارج المدينة، فى منطقة تعرف باسم (الأبطال)..
كان ذلك المعسكر الهام هو نقطة التقاء خطوط السكك الحديدية، القادمة من (غزة)، و(إسرائيل)، ومركز تشوين هام وخطير جداً لجيش الاحتلال، وتحيط به منطقة خالية كبيرة، لا تسمح بالاقتراب منه، أو الهجوم عليه، بأية وسيلة من الوسائل..
ولكن الأبطال وجدوا وسيلة، لتدمير معسكر منطقة الأبطال..
فبعد مراقبة شديدة وطويلة، تم رصد وتحديد سيارة الخدمات الخاصة بالمعسكر، والتى تتردّد على سوق المدينة بصفة شبه يومية، وتم تحديد مسارها، وأماكن توقّفها لفترات طويلة..
وبعد فترة ليست بالقصيرة، تم وضع خطة العمل، وقام

(عبد الحميد) بإعداد عبوة شديدة الانفجار، وتزويدها بمؤقّت زمنى، معد بحيث ينفجر مع دقات منتصف الليل؛ لضمان تواجد السيارة داخل المعسكر، ثم أضاف إلى العبوة لاصقاً مغناطيسياً، لتثبيتها أسفل جسم السيارة..
وفى اليوم المحدَّد للتنفيذ، توقَّفت السيارة فى شارع ٢٣ يوليو كعادتها، فقام بعض أفراد المجموعة بالإحاطة بها؛ لحجبها عن الأنظار تماماً، فى حين قام أحدهم بتثبيت العبوة الناسفة أسفلها، بوساطة اللاصق المغناطيسى، وعندما تأكَّد من أن لديه المزيد من الوقت، أخرج من جيبه حبلاً متيناً، وأحكم به تثبيتها فى موضعها..
وانتهت السيارة من مهمتها، وعادت إلى المعسكر، الذى اطمأن العدو إلى تأمينه وحمايته، نظراً للعراء والفراغ المحيطين به..
وعند منتصف الليل تماماً، انفجرت العبوة شديدة الانفجار، ونسفت السيارة، بل سحقتها سحقاً، قبل أن تمتدّ إلى ما حولها، وتكبّد العدو خسائر فادحة، وتقضى فى دقائق معدودة على ثقته فى نفسه، وفى إجراءاته الأمنية كلها..

السؤال الذى ظلّ يشغلنى، وأنا أسمع هـذه القـصة، مـن أفـواه أبطالها، هو كيف تحوّل هؤلاء المدنيين، إلى فدائيين مدربين على هذا النحـو، بحيـث يتعـاملون مـع الأسـلحة والذخائر والقنابل، كما لو كانوا من المحترفين؟!

وببساطة مدهشة، يجيب الحاج (عبد الحميد): "لقد قمـت بتدريبهم، على استخدام المتفجرات وإلقائها..".

وعندما سألته، أين كان يفعل هذا، وكيف، ابتـسم (فـضل)، وهو يجيب: "ربما لن تصدق، ولكننا كنا نتدرَّب على إلقـاء القنابل، على شـاطئ البحـر، وتحـت سـمع وبـصر العـدو الصهيونى نفسه"..

تُرى هل أدهشك هذا الجواب، وأثار انبهـارك أيـضاً، كمـا حدث معى؟!..

الواقع أن الأمر بسيط للغاية، وجرئ للغاية أيـضاً، فالحـاج (عبد الحميد) اصطحب أفراد المجموعة إلى شاطئ البحـر، وراح يدرِّبهم على إلقاء الأحجار، بـنفس الأسـلوب الـذى سيتبعونه لإلقاء القنابل، والعدو الصـهيونى يراقبهـم فـى لا مبالاة، باعتبارهم بعض الشبان، الذين يتقاذفون الأحجار للهو والعبث على الشاطئ..

فكرة عبقرية، وبسيطة، ومبهرة تماماً بحق!!..

لقد ألقى الرجال الأحجار على الشاطئ، وحوَّلوها فى عقـولهم وأصابعهم إلى قنابل، ألقوهـا فيمـا بعـد علـى رؤوس العـدو وأهدافه..

ألقوها، ليتحوَّلوا من مدنيين إلى محترفين فى مجـالهم، بكـل معنى الكلمة..

وكمحترفين، كانت عقولهم تبحث فى كل يـوم عـن أهـداف جديدة، تثير غضب وجنون العدو أكثر وأكثر، على الرغم مـن ثورته العارمة، عقب كـل عمليـة، وحملاتـه المـسعورة ضـد المواطنين الأبرياء، واعتقالاته التى تتوقَّف أبداً..

ولكن ذات مرة، اختار الهدف نفسه بنفسه..

فعندما قرَّرت سلطات الاحتلال استبدال البطاقـات المـصرية فى (العريش)، ببطاقات هوية إسرائيلية خاصة، حـدَّدت فتـرة قصيرة للغاية لإجراء هذا الاستبدال، وهدَّدت فى الوقت ذاتـه، كل من لا يحمل بطاقة الهوية الإسـرائيلية بالاعتقـال، ممـا أدى إلى تزاحم المواطنين عند منافذ استخراج تلك البطاقات

الجديدة..

ومن بين هؤلاء المواطنين، كان الشيخ (جاد)..

والشيخ (جاد) هذا رجل دين محترم، أبى عليه إيمانه، كما أبت عليه وطنيته، أن يستسلم للاحتلال الصهيونى، فظلّ يهاجمه فى خطبه دوماً، على منبر صلاة الجمعة، ويدعو للكفاح والجهاد ضده، حتى أثار حفيظة سلطات الاحتلال وحنقها، وأصبحت تنتظر فرصة لإيذائه، تحت أى مسمى كان..

وأثناء الازدحام والطوابير، أمام منافذ بطاقات الهوية، تجاوز الشيخ (جاد) الصفوف، دون أن يعترض على هذا مواطن واحد، لما يكنونه له من احترام وتبجيل وتقدير، و...

ولكن فجأة انقض جندى إسرائيلى يُدعى (حسون)، على الشيخ (جاد)، وراح يوسعه ضرباً، بكل ما يملأ نفسه من حقد ومقت وغطرسة..

وهنا، تفجَّر غضب عارم فى قلوب ونفوس أفراد المجموعة، واجتمعت أنظارهم، دون أن يتبادلوا كلمة واحدة، ليتفقوا فى صمت على الهدف التالى..

الهدف البشرى.



٣ - الإنفجار

أكبر حماقة، يمكن أن يرتكبها محتل، أى محتـل، هـى أن يتعَّرض بالسوء للرموز الدينية، فى الأرض التى يحتلّها ..
هذا وحده كفيل بإشعال الغـضب فـى النفـوس والقلـوب.. والعقول أيضاً، بحيث تلتهب المشاعر، وتتفجَّر البراكين فى العروق، وتمتلئ القلوب بأنهار من الحماس، الذى قد يدفع المرء للقيام بأى شئ..
أى شئ على الإطلاق..
هذا ما يمكن أن يحدث لأى شخص عادي..
فما بالك بأفراد مجموعة (العريش)، الذين رفضت دماؤهم الحرة الـساخنة منـذ البدايـة، فكـرة الاحـتلال البغـيض، وأقسمت عقولهم وقلوبهم وأفواههم علـى مقاومتـه، حتـى آخر رمق..
فمنذ تلك اللحظـة، التـى رفـع فيهـا الجنـدى الـصهيونى (حسون) يده القذرة، على الشيخ (جـاد)، قـرَّرت مجموعـة العريش أن يكـون (حـسون) هـذا هـو هـــدف العمـــلية القــادمة، والدرس الذى يتم تلقينه للعدو الصهيونـى، حتـى لا يجرؤ على المساس برجال الدين مرة أخرى..
وبمراقبة (حسون)، وجد الرجال أن تحركاته روتينيـة للغايـة، فهو يصل إلى المدينة فى موعد ثابت تقريباً، ويضع سـيارته فى مكان بعينه، ثم يغادر فى ساعة محدودة أيضاً..
وفى اليوم المتفق عليه، تحرّك (فضل) فى هدوء، ناحية سيارة (حسون)، فى نفس اللحظة التى استقر فيها هذا الأخير، ثـم، وبسرعة ومهارة، ألقى قنبلة عليها، وأسـرع يبتعـد، ويمتـزج بالمارة..
وفى الليلة نفسها، وعلى الرغم من تحركات العدو وثورته، تم توزيع منشور معد مـسبقاً، يؤكِّـد أن مـا حـدث للإسـرائيلى (حسون)، كان بسبب اعتدائه على رجل الدين، الشيخ (جاد)..
واستوعب العدو الدرس هذه المرة، وأصدر أوامـره إلـى كـل جنوده، بعدم المساس بـأى رجـل ديـن أبـداً، مهمـا كانـت الأسباب..
وكان هذا انتصاراً لمجموعة (العريش)..
انتصاراً ساحقاً بحق..
ولكن العدو بدأ يضاعف من نشاطه أيضاً، ومن أطقم حراسته

ووصل طاقم أمنى جديد من (تل أبيب) ؛ ليحاول النجاح فيما فشل فيه الطاقم السابق، الذى لم يكشف أمر مجموعة (العريش)، أو حتى يقترب من هذا..

وعلى الرغم من علم أفراد المجموعة، بوصول ذلك الطاقم الأمنى الجديد، ومن أن هذا سيعنى موجة جديدة من الاعتقالات والاستجوابات، إلا أنهم قرَّوا القيام بعملية جديدة، أكثر قوة وتأثيراً..

وكان الهدف هذه المرة كوبرى للسكك الحديدية، فى شمال شرق مدينة (العريش)، يربط شرق الوادى بغربه، ويستخدمه العدو فى أعماله وتنقلاته العسكرية..

ولأن الهدف هام وخطير ومؤثِّر، راح الرجال يتدارسون الأمر طويلاً، ويراقبون الكوبرى، ويترددون على المنطقة ؛ لتحديد أفضل نقطة لوضع العبوة الناسفة، شديدة الانفجار، بحيث تحدث أكبر قدر ممكن من الأضرار..

وبعد دراسات طويلة، واجتماعات أطول، تم اختيار بداية الكوبرى الشرقية، كنقطة انفجار..

وتحت جنح الظلام، زرع بعض أفراد المجموعة العبوة الناسفة، فى الموضع المتفق عليه، مع مؤقت زمنى، بحيث لا يحدث الانفجار، إلا بعد عودة الجميع إلى منازلهم بالفعل..

وفى الوقت المحدَّد، انفجرت العبوة الناسفة، ونسفت البداية الشرقية للكوبرى، لتتوقَّف الإمدادات التى تمر به تماماً..

وجن جنون العدو أكثر وأكثر، وأدرك طاقم الأمن الإسرائيلى الجديد أنه أمام فريق منظم من الفدائيين، يجد دوماً وسيلة لبلوغ الهدف، مهما أحيط بوسائل التأمين والحراسة..

ومع غضب طاقم الأمن الجديد وثورته، كثف العدو حملاته التفتيشية، وداهم المنازل بلا رحمة، واعتقل عشرات المواطنين، وراح يستجوبهم بمنتهى العنف والشراسة، فى نفس الوقت الذى حاصر فيه المدينة تماماً، ومنع الدخول إليها، أو الخروج منها، حتى ينتهى التفتيش، وتنتهى الاستجوابات الوحشية..

وكان بعض أفراد المجموعة ممن شملتهم الاعتقالات، ولكن التقارير كلها أكدَّت أنه قد تم انتزاعهم من فراشهم، لذا فقد تم الإفراج عنهم، بعد فترة محدودة من الوقت، وعادوا ليجتمعوا برفاقهم، ويخططون معاً لهدف جديد، وخطير..

وأما العدو نفسه، فقد بلغ غضبه وسخطه أوجه وذروتـه، إذ أصبحت إمداداته تنتهى عند محطة قبل الكوبرى، لم تكـن مجهَّـزة كمحطـة (العـريش) بمـدرجات إنـزال للـدبابات والمعدات الثقيلة، ولا بوسائل لشحنها فى الاتجاه المـضاد، ممـا أعـاق تحركاتـه لفتـرة طويلـة، اسـتغرقها لإصـلاح الكوبرى، وإعادة تشغيله، قبل أن يحيطه بحراسـة مكثفـة، ويغمره بأضواء كاشفة قوية، ويمنع الاقتراب منه تماماً..

وتوتر الموقف، كما لم يتوتر من قبل، وتحوّل طـاقم الأمـن الإسرائيلى الجديد إلـى مجموعـة مـن الوحـوش، الـذين اشتعلوا بغضب الفشل، ونيران العجز عن كشف المسئولين عما يحدث، والإيقاع بهم فى قبضتهم..

وكان من الضرورى، والحال هكذا، أن يهدأ أفراد المجموعة قليلاً، حتى تنزاح الغمة، وتقل ثورة غضب العدو..

وكلمة يهدأوا هذه نسبية تماماً؛ فصحيح أنهـم قـد توقَّفـوا بعض الوقت، عن القيـام بعمليـات مباشـرة، إلا أنهـم قـد استغلّوا ذلك الوقت كله، فـى التخطـيط لعمليـة جـديدة، كفيلة بأن يبلغ غضب وجنون العدو مداه، وأن تبلغ خسارته ذروتها..

واستقر الرأى بالإجماع، فى هذه المرة، على كافتيريا بعينهـا، كانت نقطة التقاء للقوات الإسرائيلية، القادمة من (إسـرائيل)، فى طريقها إلى الجبهة، والعائدة من الجبهة إلى (إسرائيل)..

تلك الكافتيريا كانت تقع على الطريق الشمالى، المؤدى إلـى جبهة القتال، بـالقرب مـن محطـة الـسكك الحديديـة فـى (العريش)..

ولأن الهدف خطير، تطلَّب الأمر دراسة وافية ودقيقة؛ لمعرفـة ساعات الذروة، والأيام المناسبة، التى يتجمَّع فيها أكبر عـدد من ضباط وجنود القوات الإسرائيلية، فى الكافتيريا..

ولقد استمرت تلـك المراقبـة أيامـاً وأيـام، وتنـاوب أفـراد المجموعة على موقع مواجه للكافتيريـا، لرصـد مـا يحـدث، وتحديد أفضل مكان لوضع العبوة الناسفة..

ولقد اجتمعت الآراء، على أن أنسب موضع هو سلة من سلال القمامة، التى توجد داخل صالة المطعم الزجاجية، والتى أثبتت المراقبة أنه يتم إفراغها يومياً، فى تمام الثانية عـشرة ظهـراً بالضبط..

أما عن أفضل الأيام، فكان يوم الخميس، وبالتحديد فى الفترة بين الواحدة والثانية ظهراً، عندما يتدفَّق الجنود الإسرائيليون على المكان، قادمين من الجبهة، ومتجهين لقضاء أجازتهم الميدانية..

وتم إعداد العبوة الناسفة، وتزويدها بمؤقّت زمنى، لتنفجر فى تمام الواحدة والنصف ظهراً، وتوجّه بها (عادل الفار)، و(فضل عبد الله) إلى الكافتيريا، فاتخذ (فضل) مكاناً يجاور سلة القمامة المختارة، وانتظر حتى تم إفراغها، ثم جاء (عادل)، الذى اعتاد التردُّد على المكان، بحكم قراءته لعدادات الكهرباء هناك، وتظاهر برؤيته (فضل) مصادفة، فذهب لتحيته، وألقى ورقة قديمة من يده، داخل صندوق القمامة، وبعد حوار قصير، برئ المظهر، سمعه الكل فى وضوح، غادر الاثنان المكان، وعادا إلى منزليهما..

وفى تمام الواحدة وانصف، انفجرت القنبلة المختفية داخل تلك الورقة القديمة، والتى تم حشوها بقطع من الزجاج ومسامير الصلب، لتنسف السلة، وتدمر القاعة الزجاجية، وتقتل وتصيب العديدين من أفراد جيش العدو ، من جنود وضباط..

وعلى الرغم من أن شهود العيان قد أكَّدوا مصرع خمسة من الجنود الإسرائيليين، ومجندة واحدة، بالإضافة إلى إصابة العشرات غيرهم، إلا أن البيان الرسمى للعدو لم يعترف إلا بإصابة ثلاثة من جنوده فحسب..

الطريف يومها أن أحد الشهود من الإسرائيليين، قد أكَّد أن سيارة حمراء، من طراز (مرسيدس)، توقَّفت بالقرب من المكان، وألقى قائدها قنبلة على المكان، قبل أن تنطلق به السيارة بأقصى سرعتها مبتعدة..

وبناءً على هذه الشهادة الزائفة، كثّف الإسرائيليون بحثهم عن تلك المرسيدس الحمراء المزعومة، ومنحوا أوصافها لكل نقاط التفتيش فى الطريق، وانشغلوا بها عن البحث عن أفراد المجموعة، الذين عادوا إلى منازلهم آمنين، وقد انتشت عروقهم بنشوة نصر، لا تفوقها أية نشوة أخرى فى الوجود..

ولأوَّل مرة، منذ بدأت عملياتهم العسكرية، جمعهم شوق عجيب للقاء والاجتماع، والاحتفال بنجاح عملية القاعة الزجاجية هذه..

فمع مقتل كل هذا العدد من الإسرائيليين، أدرک الكل أنهم قد تفوّقوا بالفعل على العدو، وصاروا أقوى منه، وأكثر قدرة على تكبيده الخسائر، وتحطيمه بضربات متتالية، يجهل مصدرها ومنبعها ومنفذيها..

ولقد امتزج كل هذا بقناعة جديدة، بأن العدو الإسرائيلى ليس سوى أسطورة كاذبة، وأنه لو كان جيشهم قد وجد فرصة عادلة للمواجهة والقتال، فى يونيو ١٩٦٧م، لما كانت الهزيمة، ولما كان هذا الاحتلال، الذى يجثم على نفوسهم، لسنوات طوال..

وليلتها حلموا جميعاً بالتحرُّر والحرية، وبانتهاء سنوات الاحتلال، وارتفاع العلم المصرى على أرص (سيناء) كلها، وليس على (العريش) وحدها..

كان الحماس قد تطوّر، وتفجّر فى القلوب والنفوس، بألف ألف ضعف لما كان عليه، عندما بدأ كل هذا..

ومع الحماس الزائد، وشعور النصر اللذيذ، الذى يملأ الخلايا، ويجرى فى العروق مجرى الدم، حتى يتحوّل إلى نوع من الإدمان الإيجابى، الذى يبث فى أعماقک روح التفوّق أكثر وأكثر، قرّر الرجال أن يكون الهدف التالى أكثر تأثيراً..

فى ذلک الوقت، كانت إحدى المنظمات الفلسطينية قد أعلنت مسئوليتها عن الحادث، لما سببه من أضرار جسيمة، ولما حظى به من شهرة وانتشار، مما خفّف الضغط الأمنى داخل (العريش)، وسمح لأفراد المجموعة بالاجتماع مرة أخرى، فى منزل قائدهم (عبد الحميد الخليلى)، لدراسة الهدف التالى وتحديده..

وكما يحدث فى كل اجتماع، تم طرح الأهداف المقترحة للضربة القادمة، والتى لابد وأن يكون الهدف منها هو الرد على تصعيدات العدو، وممارساته الإرهابية القمعية، التى يوجهها دوماً نحو المواطنين الأبرياء، ويسعى بها للسيطرة على مشاعرهم، وبث روح الخوف والهلع فى أعماقهم، حتى لا يجرءوا على مواجهته، أو السعى لتحديه أبداً..

ولأن الممارسات القمعية قد بلغت ذروتها، بعد عملية (القاعة الزجاجية)، وما نجم عنها، فكرت المجموعة فى حتمية مواجهة كل هذا بضربة قاصمة، فى موقع يستحيل أن

يتخيله العدو، أو يخطر على باله لحظة واحدة..
ومـع ربـط هـذا بـالفريق الأمنـى الإسـرائيلى الجديـد، وممارساته الوحشية، بدا من الواضح أن المصدر الرئيـسى لكل هذه العمليات القمعية، هو جهاز المخابرات العـسكرية الإسرائيلية، الذى يحتل موقعاً متميِّزاً فى (العريش)، يعرف الآن باسم (نزل الشباب)..
وهنا أصبح الهدف واضحاً..
مبنى المخابرات الإسرائيلية نفسه..
وانحبست الأنفاس بضع لحظات، عندما تم تحديد الهدف، على الرغم مـن أن أذهـانهم جميعـاً كانـت قـد انتخبتـه، واختارته بدقة، قبل حتى أن تفصح عنه ألسنتهم..
فالهدف كان خطيراً بالفعل، ويستحيل توقُّعه..
على كل المستويات..
ولأن الرجـال اعتـادوا ألا يتوقفـوا طـويلاً، أمـام كلمـة (المستحيل) هـذه، فقـد انتقلـوا علـى الفـور، مـن مرحلـة التحديد، إلى مناقشة خطوات الإعداد والتنفيذ..
وكما يحدث فى كـل مـرة، بدأت عمليـة دراسـة المـوقع، وكشف السبل الآمنة للوصول إليه، والمسارات المناسبة لبلوغ نقطة زرع القنبلة فيه..
ولأن الهدف عسير وخطير، تم إعداد عبـوة ناسـفة موقوتـة، تتناسب مع طبيعته، والخسائر المنتظر إصابته بها، كما تقـرَّر أن يقوم ثلاثة من أفراد المجموعـة بتنفيـذ العمليـة، بحيـث يقوم أحدهم بالتسلُّل إلى الهدف، من الناحيـة البحريـة، فـى حين يتولَّى الآخران عملية التأمين والمراقبة، وإعـداد وسـيلة الخروج والابتعاد..
أما بالنسبة للوقت المناسب للقيام بالعمليـة، فكـان منتـصف الليل تقريباً، لكى يتم التسلُّل تحت حجب الظلام..
ولأن العملية تحتاج إلى النشاط وسرعة الحركة، وقع الاختيار لتنفيذها على (فـضل عبـد الله)، و(محمـد حجـاج)، و(عـادل الفار)، باعتبارهم أصغر الأفراد سناً..
وفى هذه المرة، ولحساسية العملية، تم تدريب الأفراد الثلاثة على القيام بها، ويقول (فضل عبـد الله): "درسـنا كـل شـئ، وخططنا لكل خطوة، وعملنا حسابات كـل احتمـال، بحيـث لا تشرق شـمس اليـوم التـالى، إلا وقـد نـسفنا المبنـى، مـع

الغطرسة الإسرائيلية، وأحلام طاقم الأمن الإسرائيلى الجديد كلها.."..

وعلى الرغم من أن كل شئ قد تم اتباعه كالمعتاد، إلا أن (عبد الحميد) أصرّ على أن يعيد الأفراد الثلاثة دراسة الهدف ليلاً ونهاراً، قبل إتمام العملية فعلياً..

وقام الثلاثة بهذا بالفعل..

درسوا الهدف، وراقبوه، وحفظوه عن ظهر قلب، ثم أعلنوا قائدهم بأنهم مستعدون للتنفيذ..

وحدّد (عبد الحميد) اليوم المناسب للتنفيذ، وسلّم العبوة الناسفة للشبان الثلاثة، فى مساء اليوم نفسه..

ويروى (فضل محمد) ذكريات ذلك اليوم، قائلاً: "اتفقنا نحن الثلاثة، (عادل) و(حجاج) وأنا، على أن نجتمع فى منزل (عادل)، قبل أن نتجه لتنفيذ العملية، وكان الحماس يملأ نفوسنا بشدة، وكل خلية فينا تتلهّف للقيام بالمهمة..

والتقينا فى منزل (عادل الفار) بالفعل، وراجعنا الخطة للمرة الأخيرة، ثم بدأ (عادل) فى عملية تمويه العبوة الناسفة، تمهيداً للخروج بها للتنفيذ، و...

وفجأة، دوى الانفجار..

دوى بمنتهى العنف..

فى وجوهنا مباشرة.



٤ - وطننا أعيننا

عبر تاريخ الحروب السرية كله، لم تخل عملية منظمة واحدة من الخطر..

ومن الخطأ أيضاً..

وكلما تعدَّدت العمليات وتكرَّرت، وازدادت صعوبة وتعقيداً، تضاعفت احتمالات الخطر أكثر وأكثر، وتضاعفت معها احتمالات حدوث الأخطاء غير المقصودة..

وفى عمليتنا هذه، أتى الخطأ على شكل انفجار..

ولا أحد يمكنه الجزم، حتى هذه اللحظة، بطبيعة الخطأ، الذى أدّى إلى انفجار القنبلة، قبل الموعد المحدَّد لها، فربما يكمن فى تركيبها، أو مكوناتها، أو فى التعامل معها، أثناء محاولة تمويهها..

المهم أنها قد انفجرت، فى وجود منفذى العملية الثلاثة، (فضل)، و(حجاج)، (وعادل)، فى منزل هذا الأخير..

ويروى (فضل) ذكرياته عن هذا الموقف الرهيب، فيقول: "لقد استعدت وعيى فى مستشفى (العريش) العام، قبل أن يتم نقلى إلى مستشفى (دار الشفاء) فى (غزة)، حيث أجريت لى الإسعافات الأوَّلية، ووضعت تحت حراسة مشدَّدة، من القوات الإسرائيلية، ومُنِعَ اتصالى بأى مخلوق، فى ظلّ تلك الحراسة..

كانت عيناى مغطتين بالضمادات، وآلام رهيبة تنتشر فيهما، على الرغم من الأدوية والمسكنات، إلا أن كل ما كان يشغل بالى هو مصير زميلىّ (محمد حجاج) و(عادل الفار)..

كنت أتمنّى من كل قلبى أن يكونا قد نجيا من الانفجار، حتى ولو تم وضعهما تحت حراسة إسرائيلية مشدَّدة مثلاً "..

وهذا ما أخبره به القائمون على التحقيق بالفعل..

لقد أخبروه أن زميليه يعالجان فى حجرتين أخريين بالمستشفى نفسه، وأن أحدهما، وهو (عادل الفار) بالتحديد، قد أدلى باعترافات تفصيلية، اتهمه فيها هو و(حجاج)، بالاشتراك معه فى إعداد القنبلة ؛ تمهيداً للقيام بهجمة فدائية، على هدف ما..

ولقد أبدى (فضل) دهشته من هذا القول، وأصر على أنه لا يعرف شيئاً عما قاله (عادل)، وأنكر، بل واستنكر تماماً كل الاتهامات المنسوبة إليه..

فى الوقت نفسه، كان قائد المجموعة، (عبد الحميد الخليلى) يسعى بكل طاقته، لإيجاد وسيلة للاتصال بالمناضل (فضل) فى محبسه بالمستشفى، فى أسرع وقت ممكن، لإبلاغه بخبر بالغ الأهمية والخطورة..

لقد استشهد (عادل محمد الفار)، فى الثامن عشر من مايو، عام ١٩٧٢م، وهو تاريخ الليلة، التى انفجرت فيها القنبلة فى وجوههم..

ويقول (عبد الحميد) عن هذا الموقف: "سقوط الثلاثة كان يعنى أن المجموعة قد فقدت خمسين فى المائة من طاقتها البشرية دفعة واحدة، وكنت واثقاً من أن الإسرائيليين سيحاولون إيهام (فضل) و(حجاج) بأن (عادل) ما زال على قيد الحياة، حتى يستدرجوهما للبوح بما لديهما من أسرار، لذا كان من المحتم أن يعرف (فضل) و(حجاج) باستشهاد (عادل)، حتى يمكنهما السيطرة على مجريات التحقيق، وإلقاء التهمة كلها على (عادل)؛ باعتبار أن الانفجار قد حدث فى منزله، وبحجة أن كليهما لا يعلم شيئاً عن الأمر.. كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة لتجاوز الأمر، دون أن ينهار التنظيم كله.."..

ومن الواضح أن (عبد الحميد) قد بذل، مع زميليه (سعد) و(رشاد) جهداً مضنياً بحق، إذ أنهم قد نجحوا فى النهاية، فى توصيل المعلومة إلى (فضل)، فى الوقت المناسب تماماً..

وعلى الرغم من حزنه العميق، على استشهاد زميل كفاحه، إلا أن (فضل) كتم دموعه فى أعماقه، وفى عينيه المصابتين، وواصل تظاهره بأنه لا يعلم شيئاً عن مصرع (عادل الفار)، ثم راح ينسج القصة فى حزم وإصرار، ويطلب مواجهته بالشهيد (عادل) نفسه؛ ليؤكِّد قصته..

ومن ناحيته، نجح (فضل) فى إبلاغ (حجاج) باستشهاد (عادل)، من خلال طبيب تخدير، فى مستشفى (غزة)، يعرفه معرفة قديمة مسبقة، ويثق به ثقة كبيرة..

وعن طريق ذلك الطبيب، علم (حجاج) بالأمر، واتفق مع (فضل) على قصة ثابتة، يواجهان بها المحققين، بمنتهى الحزم والإصرار..

قصة تقول: إن (حجاج) قد التقى بزميله (فضل) و(عادل)، اللذين التقيا مصادفة، قبل هذا بنصف الساعة فحسب، وأصرّ

(عادل) على استضافتهما فى منزله، وعندما استقر بهما المقام هناك، كان (عادل) يحمل لفة ما، يجهلان محتواها تماماً، وأن هذه اللفة قد انفجرت فجأة، فأصابهما ما أصابهما..
وواصل الاثنان ترديد قصتهما تلك طوال الوقت، وأكَّدا أن (عادل) هو المسئول عما حدث، باعتبار أنهما كانا فى منزله، وأصرَّا على مواجهته؛ لتأكيد قصتهما، مما أوقع المحققين فى حيرة شديدة، خاصة وهم يعلمون أن المواجهة مستحيلة، ويجهلون تماماً أن الاثنين على علم باستشهاد (عادل الفار)..
وعندما ضاق الأمر بالمحققين، بدءوا فى استخدام سلاح حقير قذر..
عيون البطلين..
لقد أخبروهما بأن بصرهما سيضيع إلى الأبد، ما لم تنال عيونهما العلاج المناسب، فى الوقت المناسب..
وكان ثمن تلقى العلاج، وإنقاذ البصر والعيون، هو الاعتراف بالطبع.. الاعتراف الشامل الكامل، الكفيل بإيقاع باقى أفراد المجموعة، وحرمان الوطن من خدماتهم، فى تلك المرحلة الحرجة..
وكجزء من الضغوط الحقيرة، تم نقلهما من المستشفى إلى سجن الرملة، وحالتهما تسوء كل يوم.. بل كل ساعة، والضغط يتواصل.. ويتواصل.. ويتواصل..
وحضر إلى السجن بعض الأطباء، الذين ادعوا أنهم من كبار الإخصائيين، فى هذا المجال، وأكَّدوا أن العلاج ممكن، وعودة الإبصار ممكنة، بشرط أن يعترفا..
وكان على (فضل) و(حجاج) أن يختارا..
إما بصرهما ، أو وطنهما ...
ويا له من اختيار!!..
عيونهما وإبصارهما، مقابل خيانة الوطن، أو ظلام أبدى لا ينتهى، ثمناً للإخلاص والوفاء..
ودون أن يلتقيا، اتخذ البطلان قراراً واحداً..
قرار لا يمكن أن يتخذه سوى أبطال..
أبطال حقيقيون ...
قرار يقول: لن نشترى عيوننا بخيانة الوطن..

وطننا عيوننا، ولن نبصر سواه ما حيينا..
ومع مرور الوقت، وبعد ستة أشهر، لم يتلقيا خلالها سوى بعض العلاج الموضعى، من مراهم الكورتيزون، بناءً على أوامر المخابرات الإسرائيلية، تم الإفراج عن (فضل) و(حجاج) صحياً؛ لعدم ثبوت أية اتهامات عليهما..
وامتزجت فرحة باقى أفراد المجموعة بالكثير من الحذر والقلق..
الحذر؛ لأنهم يعلمون أن الإفراج فى واقعة مجرّد خدعة ؛ لمراقبة الرجلين، وتحديد صداقاتهما واتصالاتهما، كوسيلة للإيقاع بالباقين..
والقلق العارم على مصير عيونهما، التى عانت الكثير والكثير، فى ظلّ احتلال بغيض..
فى تلك الفترة، كان أفراد المجموعة يتعرضون لضغوط عنيفة، واستدعاءات وتحقيقات مستمرة، من قبل المخابرات الإسرائيلية، ولكنهم صمدوا، وثابروا، وصبروا حتى أن العدو لم يجد لمحة واحدة تدينهم..
وعلى الرغم من تلك الضغوط، ومن حصار العدو المستمر لهم، كان من المحتم أن يتواصل عمل المجموعة؛ للتغطية على المعتقلين، وتخفيفاً للضغوط العنيفة عليهما، لذا فقد تواصل إصدار المنشورات، والقيام بعمليات ضد أهداف العدو، فى نفس الوقت الذى تم فيه ترتيب زيارة عاجلة لقائد المجموعة (عبد الحميد الخليلى) إلى (القاهرة)..
وهناك، فى (القاهرة)، وفى دفء جهاز المخابرات الحربية، قدّم (عبد الحميد) تقريره عما حدث، وأوضح موقف المجموعة، بعد خسارة ثلاثة من أفضل عناصرها، قبل أن يتم اتخاذ قرار عاجل وهام للغاية..
قرار بضرورة إحضار (فضل) و(حجاج) إلى (القاهرة)، بأقصى سرعة ممكنة ؛ لعرضهما على كبار الإخصائيين، وبذل كافة الجهود لعلاجهما، وإنقاذ بصرهما..
وعلى الرغم من صعوبة نقل رجلين، تحت مراقبة المخابرات الإسرائيلية مباشرة، إلا أن المخابرات الحربية المصرية أدارت اللعبة على أكمل وجه ممكن، بحيث لم يدرج أسما الرجلين، فى كشوف الصليب الأحمر، إلا قبيل موعد السفر بيوم واحد، على الرغم من أن القواعد كانت تحتم أيامها أن

يتم عـرض الأسـماء كلهـا قبـل أسـبوعين علـى الأقـل؛ لمراجعتها، وإصدار الموافقات، أو أوامر المنع بشأنها..

وسافر (فضل) و(حجاج) إلى (القاهرة)، قبـل أن تـستوعب المخابرات الإسرائيلية الموقف، أو تجد وسيلة للتصرُّف..

وفى (القاهرة)، وفور وصلهما، تم عرض الرجلين على كبـار الأطباء والإخصائيين، فى طب وجراحـة العيـون، وأجريـت لهما كل الفحـوص والدراسـات اللازمـة، قبـل أن تجمـع التقارير النهائية على أمر مؤسف للغاية..

العلاج بالكورتيزون لستة أشـهر كاملـة، أصـاب عيونهمـا بأضرار بالغة، وأدّى إلى ضمور العصب البـصرى، وفقـدان الإبصار..

نهائياً..

وعلى الرغم من صعوبة الخبر ومرارتـه، اسـتقبله الـرجلان بصبر وصلابة، وأعلنا معاً الأمر نفسه، دون اتفاق مسبق..

وطننا عيوننا، وإيماننا بصرنا، ونحتسب ما أصابنا لوجـه الله (سبحانه وتعالى)، ونصرة الوطن فحسب..

يا له من موقف!..

ويا لها من كلمات!..

وتحت رعاية وعناية المخابرات الحربية المـصرية، اسـتكمل البطلان علاجهمـا مـن بـاقى إصـاباتهما، وصـحَّح الأطبـاء المصريون بعض العمليات، التى أجريت لهما بوسـاطة أطبـاء العدو، ثم انخرطا فى الحياة المدنيـة، وقـدَّمت لهمـا أجهـزة الدولة كل المساعدات الممكنة، وواصل (فضل) شـق طريقـه فى الحياة، بكل الإيمان والحزم، فأكمل دراسته، حتى حـصل على ليسانس الآداب بتقدير جيِّد فيما بعد..

أما قائد المجموعة (عبد الحميد)، فقبل أن يعود من (القاهرة)، كان قد حصل على خطة العمل فى المرحلة القادمة، وتحدَّدت له الأهداف والأولويات، وطرق الاتصال والتحرُّك، وخـصوصاً عندما تحين ساعة الصفر، ويصبح للمجموعـة دورهـا القـوى الفعَّال، فى تحقيق النصر، وقهر المستحيل!..

وعاد (عبد الحميد) إلى (العريش)، وهـو يحمـل حماسـاً بـلا حدود فى أعماقه، استشفه رفيقاه فى وضوح، عنـدما اجتمـع بهما، وراح يخبرهما بما لديـه، وإن دفعـه حــذره الفطـرى إلـى الاحتفـاظ لنفسـه ببعـض التفاصيـل، التـى بدت له من

الخطورة، بحيث لا ينبغى أن يعلم بها سواه..
ومن بين هذه التفاصيل، عبارة أخبره بها ضابط المخابرات، المسئول عن العملية، قبيل انصرافه مباشرة: "فى أية لحظة، سيأتيك من يخبرك أنه يحمل رسالة من (أبى ياسر)، وسيعنى هذا أنه من طرفنا، وأنه يحمل إليك بعض الأشياء الهامة جداً.."..
وحدد (عبد الحميد) لرفيقيه أهداف المرحلة القادمة، التى تتجه إلى زيادة عدد أفراد المجموعة، والتوسّع فى جمع المعلومات، عن طرق وتحرُّكات العدو فى (سيناء) بأكملها..
ودون أن يفصح أحدهم عما يدور فى أعماقه، أدرك ثلاثتهم أن ساعة الصفر تقترب، وأن حلم التحرير قد دنا من شاطئ الحقيقة..
وبكل الحماس، الذى أطلقته الفكرة فى أعماقهم، انطلقوا لتنفيذ تلك الأهداف الجديدة..
فى البداية، وقع اختيارهم على (عدنان شهاب)؛ بحكم صلاته المتعدّدة بعائلات المدينة، وبعشائر وقبائل بدو (سيناء)..
تم اختيار (عدنان) بإجماع الآراء، وبثقة أثبت أنه أهل لها، عندما أدّى دوره بمهارة وإيمان وإتقان واقتدار، فى كل ما طُلب منه، حتى أن المجموعة قد فوّضته فى اختيار العناصر، التى تعاونه على أداء مهمته على خير وجه، ممن يثق فيهم، وفى وطنيتهم وأدائهم..
ولكن بشرط واحد..
ألا يعلموا شيئاً عن باقى أفراد المجموعة..
وفى هذا أيضاً، أدّى (عدنان) دوره بنجاح يستحق الإعجاب، واستقطب بعض العناصر الوطنية، من خيرة أبناء المدينة، مثل الصيدلى (محمود أحمد حمودة الأزعر)، و(جمال مسلم حسونة)، والحاج (محمود مصطفى العزازى)..
وبكل براعة وإخلاص، قدّم هؤلاء الرجال العديد من الخدمات والمعلومات عن العدو، وعن تحركاته وتنقلاته، فى قلب (سيناء)، مما كان له أكبر الأثر، فى استكمال الصورة، والتعامل مع العدو، فى اللحظات الحاسمة..
فى تلك الفترة، وحتى عودة (عبد الحميد) من (القاهرة) فى المرة الثانية، كانت المجموعة تعتمد فى اتصالاتها على جهاز

إرسال لاسلكى يعمل بالبطارية، ويحتاج إلى تكلفة تشغيل مرتفعة، ويعانى من كثير من الأعطال، كما كانت تفتقر إلى التمويل، المادى اللازم، بعد أن رفض أفرادها، وبمنتهى الإصرار تقاضى أية أموال من جهاز المخابرات، أو حتى من المسئولين، واعتمدت فى تمويلها على تبرعات واشتراكات أعضائها، ومساهماتهم المتواضعة المستمرة، حتى أن (فضل)، الذى كان طالباً أيامها، أصرّ على دفع اشتراكه ونصيبه من التمويل، من مصروفه الشخصى، حتى ولو قضى الشهر كله مفلساً..

كانوا جميعاً صورة مشرِّفة للكفاح والنضال والجهاد، فى سبيل الله (سبحانه وتعالى) والوطن..

ولأنهم يرفضون تقاضى أية أموال سائلة، طلب قائد المجموعة من المخابرات تزويدهم بجهاز لاسلكى آخر، يعمل بالكهرباء، وعدد من أقلام التفجير الموقوتة، وبعض المواد الناسفة القوية، للقيام بالعمليات اللازمة، فى المرحلة التالية..

ولأنه يعلم أن المخابرات ستزوِّده حتماً بكل ما طلب، فى أسرع وقت ممكن، راح (عبد الحميد) ينتظر وصول الرسالة، فى نفس الوقت الذى راح فيه ومجموعته يواصلون كتابة وطباعة وتوزيع المنشورات القوية، التى تبشِّر المواطنين بقرب ساعة النصر والتحرير، وتكشف أمامهم أساليب العدو فى الوقيعة بينهم، وتؤكِّد لهم أن الاحتلال أمر مؤقَّت، لن يدوم أبداً، وأن (سيناء) ستعود كلها حتماً إلى (مصر)، عندما يهبّ جيشها ليثبت جدارته، ويؤكِّد وجوده، ويرفع راية النصر عالية خفَّاقة..

فى الوقت نفسه قامت المجموعة ببعض الهجمات على سلطات الاحتلال، رافعة شعاراً قوياً، فى مواجهة العدو..

شعار يقول: "إما الانسحاب، أو الهزيمة والاندحار.."..

ووسط كل هذا، وبينما يواصل عمله الحكومى، فى بلدية (العريش)، وجد (عبد الحميد) مواطناً يتقدَّم إليه، لإنهاء بعض الأعمال الخاصة برسوم المياه والكهرباء، ويطلب توصيل الكهرباء إلى منزله الجديد..

وعلى الرغم من أن الأمر يحتاج إلى دقائق قليلة فحسب لإنجازه، لاحظ (عبد الحميد) أن المواطن يتلكأ على نحو

ملحوظ، ولكنه لم يتدخل، وتركه على راحته، حتى خلا المكتب تماماً، وعندئذ، مال المواطن نحوه، وهو يقول: "لدى رسالة من (أبى ياسر).. رسالة هامة، أرجو تحديد موعد ومكان استلامها.."..

وبكل دهشة الدنيا، حدَّق (عبد الحميد) فى وجه ذلك المواطن..

لقد كان يتوقع بالطبع وصول رسول من قبل المخابرات الحربية، يحمل كلمة السر المتفق عليها مع الرسالة، ولكنه، وعلى الرغم من ثقته التامة فى كفاءة المخابرات المصرية، لم يتصوَّر لحظة أن تبلغ البراعة هذا الحد المدهش..

فالرسول، الذى حمل الرسالة من (القاهرة)، كان الحاج (صباح حمدى يعقوب الكاشف)، الذى شارف الستين من العمر - آنذاك - والذى يحمل وجهاً ملائكياً هادئاً، بشعره الأشيب، ولحيته البيضاء الكثيفة ، ختى أنه من المستحيل أن يشك إسرائيلى واحد فى أمره ..

وتسلَّم (عبد الحميد) الرسالة من الحاج (صباح)، وكانت تحوى جهاز اتصال لاسلكى جديد، يعمل بالكهرباء، وعدد من أقلام التوقيت، ومجموعة من المواد الناسفة، المموَّهة بأشكال مختلفة..

وفى الوقت نفسه، عرض عليه الحاج (صباح) التعاون، فى أية مهمة تُسند إليه، وأبدى استعداده التام للتضحية بكل غال ونفيس، وبذل كل ثمين وعظيم، حتى الحياة نفسها، إذا ما اقتضى الأمر، فى سبيل الله والوطن..

كان الرجل، على الرغم من كبر سنه، قوياً حازماً، يمتلك عزة نفس، وإباء، ورغبة حقيقية فى العمل والكفاح، من أجل إنهاء الاحتلال، واستعادة (سيناء) لحريتها وانتمائها..

ومن أعمق أعماقه، شعر (عبد الحميد) بمنتهى التقدير والاحترام للحاج (صباح)، ولكنه أشفق عليه، فى الوقت ذاته، من أن يواجه ما يواجهونه من خطر، أو يتكبَّد ما يتكبدونه من جهد وعناء وشقاء بلا حدود..

وبكل ما يحمله له، صافح (عبد الحميد) الحاج (صباح الكشاف)، وشكره على عرضه الكريم، ومبادرته الطيبة، وأخبره أنه يدخره لوقت الحاجة، وأن دوره العظيم، فى نقل مثل هذه الرسائل من (القاهرة)، لا يقل أهمية وخطورة،

عما تقوم به المجموعة كلها من جهد..
وعن طريق الحاج (صباح)، توالت الرسائل من (القاهرة)، وكان الرجل، على الرغم من كبر سنه، وضعف قوته، يتميَّز دوماً، خلال عمليات التسليم والتسلُّم، بالروح العالية، والثقة المفرطة، والشجاعة والإقدام، مع حرص دائم وذكى، على سرية الأمر، ودقة القيام بعمليات المناورة والتمويه..
باختصار، كان يستحق، وعن جدارة، ذلك اللقب، الذى وصفته به يوماً، عندما تحدَّثت عن المجموعة، على شاشة التليفزيون..
لقب (عمر المختار) مصر..
المهم أن الرسائل قد توالت، وتوالت معها عمليات المجموعة، التى كبَّدت العدو خسائر جسيمة، فى الأرواح والمعدات، ومنشوراتها التى راحت تبث روح الحماسة فى قلوب المواطنين، وروح اليأس فى قلوب الأعداء..
وطوال الوقت، راح جهاز الاتصال اللاسلكى الكهربى الجديد يبث المعلومات، ويستقبل التعليمات والرسائل من (القاهرة)، فى الأوقات المخصصة والمحدَّدة لهذا..

ثم وصلت رسالة هامة من (القاهرة)..
رسالة تطلب من المجموعة كلها بذل المزيد من الجهد والنشاط، بكل فروعها؛ لرصد أية تحركات غير طبيعية للعدو فى المنطقة، وإبلاغها إلى (القاهرة) أوَّلاً بأوَّل..
كانت قوات العدو أيامها، تقوم بمناورات وتدريبات شبه روتينية، ولم ترصد المجموعة أية تحركات غير طبيعية، ولكنها أبلغت (القاهرة) بهذا، باعتباره توضيحاً للأمور والموقف..
وجاء الرد من (القاهرة)، بضرورة متابعة العمل نفسه، ومواصلة عمليات الرصد والمراقبة، وإيقاف كل العمليات والأنشطة الأخرى، من كتابة وطباعة وتوزيع المنشورات فى المدينة، إلى عمليات إعداد واستخدام المتفجرات، ومهاجمة أهداف العدو..
كان المطلوب إذن هو التفرُّغ التام، لمهمة الرصد والمراقبة وحدها..
وشعر الكل أن هذا يعنى الكثير..
والكثير جداً..

هناك حتماً تطوّر ما فى الأمور..

تطوّر هام..

وخطير..

إلى أقصى حد..

ثم تأكَّد هذا الشعور، الذى راودهم جميعاً، مع وصول الرسالة اللاسلكية التالية، والتى كانت تعنى حدوث تطوّر أكثر خطورة..

أكثر بكثير..

جداً..

* * *

٥ - وبدأت المعركة

فجأة وعبر جهاز الاتصال الكهربى الجديد، وصلت إلى مجموعة (العريش) رسالة لاسلكية عاجلة وخطيرة..

خطيرة جداً..

رسالة تبلغهم أن استقبال رسائلهم فى (القاهرة)، مفتوح طوال الأربع والعشرين ساعة يومياً، لأجل غير محدود..

وفجرَّت تلك الرسالة حماساً منقطع النظير، فى نفوس الجميع بلا استثناء، وأكَّدت لهم ما شعروا به، من الرسالة السابقة أيضاً..

لقد اقتربت ساعة الحسم..

وساعة النصر..

وانطلق الجميع يعملون بنشاط جم، وحماس لا مثيل له، منذ وُلِدَتْ مجموعة (العريش) وفروعها..

الكل راح يكثِّف المراقبة الدقيقة لمختلف المحاور، التى تتحرّك عليها قوات العدو فى (سيناء)، وتم وضع نظام دقيق للرصد والمتابعة، نفذته المجموعة بتفوق واقتدار غير مسبوقين، وبأطنان من الجهد والعرق، حتى أن مجموعة

(عدنان الشهابى) كانت تعمل طوال الأربع والعشرين ساعة بلا انقطاع تقريباً..
طاقة هائلة، تلك التى تفجَّرت فى العروق والعقول، وخفقت مع القلوب، لتدفع الأجساد إلى العمل بلا توقّف، مع شعور الأفراد بقرب الحسم والمواجهة..
ولقد صدقت توقعات الجميع، وأندلعت حرب التحرير، يوم السبت، السادس من أكتوبر ١٩٧٣م..
وفى ذلك اليوم، وصلت الرسالة المنتظرة من (القاهرة)..
"إلى الحاج (منتصر).. نحن فى انتظاركم.."
كان هذا هو الاسم الحركى للمجموعة، والذى يرتبط بكلمة النصر، شعار المرحلة الحاسمة، ويعنى مع الرسالة البدء فى توجيه ضربات قوية، إلى أهداف تم تحديدها مسبقاً، ومنح كل منها اسماً حركياً.. ومع وصول الرسالة، قفز الحماس إلى ذروته، وتفجَّر النشاط فى العروق، واستقبل الرجال، بفوره من اللهب، الرسالة التالية..
"إلى الحاج (منتصر).. نفذ (شلبى).."..
وكان هذا يعنى توجه أوَّل ضربة، إلى كوبرى السكة الحديد، كما تم الاتفاق عليه وتحديده من قبل..
ووفقاً للنظام المتبع، التقى أفراد المجموعة فى المكان المخصص لاجتماعاتهم، وتعانقوا فى فرح وسعادة، ثم قام (عبد الحميد)، قائد المجموعة بتجهيز العبوة الناسفة المناسبة للهدف، وتم تحديد ساعة التنفيذ وموعد التفجير، ثم اختار (عبد الحميد) للمهمة اثنين من أكفأ رجال التنظيم، مساعده الأوَّل (سعد)، و(رشاد حجاب)، الذى يتسم بالإقدام والجرأة، وسرعة وخفة الحركة..
وتم تنفيذ المهمة، على الرغم من الحراسة المشدَّدة، التى أحاط بها العدو الكوبرى، فى ظلّ ظروف الحرب، وقيام المجموعة نفسها بمهاجمته من قبل..
وفى الموعد المحدَّد بالضبط ، انفجرت العبوة الناسفة، ودمَّرت تماماً الطرف الشرقى للكوبرى، لتعزل إمدادات العدو عن محطة السكة الحديد، المزوَّدة بوسائل نقل وشحن الأسلحة والمعدات، إلى جبهة القتال..
واضطر العدو إلى نقل حركته إلى محطة (الأبطال)، مما كلفه جهداً ووقتاً مضاعفين، باعتبارها غير مجهَّزة لمثل هذه الأمور.

وكلنا نعلم كم تساوى الدقائق، فى زمن القتال، فما بالك بالساعات، وبحالة التوتر والعصبية، التى أصابت العدو، ودفعته إلى وضع حراسة مكثفة، على طول خط السكة الحديد، من (العريش) إلى (إسرائيل)، مما كان يعنى خسارة رهيبة للعدو، الذى يعانى دوماً من نقص عدد الأفراد، ويفتقر فى قتاله إلى العنصر البشرى..

ومع نداء آخر، ورسالة لاسلكية تالية، قامت المجموعة بتدمير كابل الاتصالات الرئيسى،، الذى يربط مركز التنصت والقيادة الإسرائيلية فى (العريش)، بداخل (إسرائيل) مباشرة، ولقد تم تدميره فى موضعين مختلفين، وبفارق زمنى ساعة واحدة، بحيث حدث الانفجار الثانى، أثناء محاولة العدو لإصلاح ما دمره الانفجار الأوَّل..

ثم تم توجيه ضربة قوية إلى محول الكهرباء الرئيسى، الذى يغذى قوات ومعسكرات العدو، فى منطقة (الريسة)، شرق (العريش)، وبعدها ضربة أخرى، فى منطقة محطة (الأبطال)..

وكان (سعد عبد الحميد محمود) هو القاسم المشترك، فى كل العمليات، هذا بالإضافة إلى دوره الأساسى، فى كل ما يتعلَّق بالمجموعة، فهو الذى قدَّم مقراً لتخزين مستلزمات العمل، من متفجرات وأدوات طباعة، وكل ما يتعلَّق بهما، وصفاته الشخصية، التى جعلت قائد التنظيم يعتبره مساعده الأوَّل، ويعتمد عليه، فى كل الأمور، بالغة الأهمية والخطورة..

وطوال الوقت، ومع تطوّر الأحداث، لم تتوقَّف النداءات الكودية والشفرية المتفق عليها، سواء عبر جهاز الاتصال اللاسلكى، أو شبكة الإذاعة، إلى (الحاج منتصر)، أو (عبد الودود عبد الصمد)، أو (أبو محمد)، أو (أبو أمانى)، وكلها أسماء حركية لرئيس المجموعة، حيث تطالبه الرسائل والنداءات بالمزيد من المعلومات، أو بتدمير أهداف جديدة..

ولأن الرسائل تتوالى بلا انقطاع، طرح (عبد الحميد) الحذر جانباً، ووضع مقعداً إلى جوار الراديو، وراح يتابع الاتصالات بلا نوم أو راحة، حتى شعر باقى أفراد المجموعة بالإشفاق عليه، وطالبوه بالإفطار، فى شهر رمضان، إلا أنه رفض فى إصرار، وواصل مهمته على أكمل وجه، دون كلل أو ملل..

ومن الأحداث التى يذكرها (عبد الحميد الخليلى)، عن تلك

الفترة، أن والده، الذى كان يبلغ السبعين من عمره تقريباً - آنذاك - لم يكن قد تصارح مع ابنه أبداً، بشأن الأمر، إلا أنه قلب الأب، الذى ينبض فى صدره، كان يشعر بما يحدث، لذا فعندما تضاعف الجهد على (عبد الحميد)، وغفت عيناه إلى جوار الراديو، كان يستيقظ ليجد والده إلى جواره، يبلغه بما تردَّد عبر الراديو، مدعياً أنه لا يفهم ما يحدث..

ولكنهما لم يتواجها قط..

فى تلك الفترة على الأقل..

ومع التطوّر السريع للأحداث، تضاعف حماس ونشاط أفراد المجموعة، وإن حملت أعماقهم بعض الخوف، على هذه الانتصارات المتوالية، مما دفعهم إلى المزيد والمزيد من الجهد والعمل المضاعف..

وأثناء المعارك، رصدت المجموعة رتلاً من المجنزرات والمدرّعات، والدبّابات الثقيلة، تتحرّك ليلاً فى اتجاهين.. بعضها نحو المحور الأوسط، والبعض الآخر نحو المحور الشمال..

وعلى الفور، وعبر جهاز الاتصال اللاسلكى، تم إبلاغ هذه المعلومة إلى (القاهرة)..

ولأن المعلومة قد وصلت فى الوقت المناسب، تمكَّنت القوات المصرية من القضاء على لواء مدرَّع بالكامل، وأسر قائده (عساف ياجورى)..

ثم كان التدخَّل الأمريكى..

فذات صباح، وبينما المعارك محتدمة ومستمرة، استيقظ سكان (العريش) على دوى كالرعد فى السماء، مع ضباب كثيف من ناحية البحر، مما دفع مجموعة (العريش) إلى السعى لرصد منطقة الساحل بسرعة فائقة..

وهناك بدت الطائرات ، ذات اللون الأبيض، واضحة جلية، وبعضها يتجه من البحر إلى مطار (العريش)، فى حين ينطلق البعض الآخر إلى جبهة القتال مباشرة..

ولأوَّل مرة، بدأ القلق يتسلَّل إلى أفراد المجموعة..

القلق الشديد..

فذلك اللون الأبيض يميِّز طائرات البحرية الأمريكية، التى اشتركت مباشرة فى المعركة..

ومن منطقة (رمانة)، وصلت معلومات أخرى بوصول طائرات من البحر، تقوم بإنزال الجنود، الذين يتم نقلهم فوراً، بوساطة عربات عسكرية إسرائيلية، إلى جبهة القتال مباشرة..

(أمريكا) لم تكتف إذن بإرسال الطائرات والأسلحة والمعدات إلى (إسرائيل)، عبر جسر جوى لا ينقطع، وإنما دفعت جنودها وطياريها أيضاً إلى جبهة القتال مباشرة..

(مصر) إذن لم تعد تحارب (إسرائيل) وحدها..

لقد أصبحت تحارب الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً..

وبسرعة، قام (عبد الحميد) بتشفير هذه المعلومات، وإرسالها فوراً إلى (القاهرة)..

وفى (القاهرة)، أدركت المخابرات الحربية أن تلك الطائرات، ذات اللون الأبيض، تتبع الأسطول السادس الأمريكى، وحاملات طائراته مباشرة..

وتأكيداً للمعلومات الواردة من المجموعة، انطلقت طائرتا استطلاع إلى المنطقة، وعادتا تحملان تأكيداً حاسماً قاطعاً إلى القيادة السياسية والعسكرية، لتتخذ قراراتها فى هذا الشأن..

وحتى الثانى والعشرين من أكتوبر، عندما صدر قرار وقف إطلاق النار، لم تتوقف مجموعة (العريش) عن إرسال المعلومات، ورصد تحركات العدو، والقيام بالعمليات الفدائية، التى تؤرقه، وتعيق حركته طوال الوقت..

وبعد وقف إطلاق النار، وصلت رسالة لاسلكية من (القاهرة)، تطالب المجموعة بإيقاف نشاطها، والتزام الحيطة والحذر، خلال المرحلة القادمة..

والتزمت المجموعة بأوامر (القاهرة)، على الرغم من خرق وقف إطلاق النار المستمر، وتحركات العدو التى لا تتوقَّف، على المحورين، الشمالى والأوسط للجبهة..

وفى الثامن من نوفمبر ١٩٧٣م، رصد بعض أفراد المجموعة أعداداً ضخمة من الدبابات والمجنزرات، ومختلف المعدات والآليات الثقيلة، تتحرَّك نحو الجبهة مباشرة..

وهنا، قرَّرت المجموعة تجاوز الأوامر الصادرة من (القاهرة)، وإجراء اتصال لاسلكى، لإبلاغ هذه المعلومات الخطيرة فوراً..

وتوجه أفراد المجموعة إلى نقطة الاتصال، الكائنة فى منزل

والدة (سعد)؛ وراحوا يعدون المعلومات، التى يقوم (عبد الحميد) بتشفيرها، تمهيداً لإرسالها إلى (القاهرة)، و...
وفجأة، اقتحمت قوات العدو الإسرائيلى المكان، وارتفعت فوهات مدافعهم الآلية، فى شراسة متحفزة، نحو أفراد المجموعة..
ولم يكن هناك مجال للإنكار، أو لنسج قصة وهمية؛ فالإسرائيليون اقتحموا الحجرة، وبها جهاز اللاسلكى، والمعلومات المشفَّرة، وغير المشفَّرة، وأفراد المجموعة..
وتم إلقاء القبض على الجميع، وانطلق ضباط المخابرات الإسرائيلية يفتشون الحجرة والمنزل كله، فى شراسة ما بعدها شراسة..
كان هناك جيش كامل، من الجنود والضباط الإسرائيليين، يحيط بالمنزل، فى تحفُّز كامل، كما لو أنهم يلقون القبض على كتيبة كاملة من الفدائيين، وليس على عدد محدود من الأفراد..
وفى المنزل، عثروا على مجموعة من أقلام التوقيت، أثارت رجال المخابرات الإسرائيلية أكثر وأكثر..
وبعدها انقسم الضباط مع الجنود إلى مجموعتين، إحداهما اقتادت (سعد) إلى منزله، فى شارع ٢٣ يوليو، فى حين اقتادت المجموعة الثانية (عبد الحميد)، إلى منزله فى شارع الشهيد (محمد الخليلى)..
وتم تفتيش المنزلين بمنتهى الدقة والوحشية، وتم الاستيلاء على كل المشغولات الثمينة، وكل الأوراق والأجهزة، مع تدمير كل ما تبقى كعادة الإسرائيليين، فى مثل هذه الأحوال..
ثم تم نقل المجموعة إلى مبنى المخابرات الإسرائيلية فى العريش، والذى يحتله (نزل الشباب) حالياً..
وهناك، بدأت التحقيقات، وبدأ الاستجواب..
وبدأ التعذيب..
ويقول الحاج (سعد) أن الأيام الأولى كانت تحوى الكثير من الضرب والتعذيب العنيف، والقليل جداً من الاستجواب، حتى أنه والحاج (عبد الحميد) قد فقدا تماماً الإحساس بالزمان والمكان، ولم يعد باستطاعتهما معرفة كم مرّ عليهما من وقت هناك..
وفى الوقت نفسه، لم تتوقَّف أجراس الهاتف ونداءات

اللاسلكى أبداً، كما تم عرضها على أعداد كبيرة، من ضباط الجيش الإسرائيلى، الذين راحوا يردون إلى المبنى، برفقة ضباط المخابرات، دلالة على ما سببته لهم المجموعة من خسائر جسيمة..

وبعد فترة، لم يتمكن أحدهما من تحديدها بالضبط، تم نقل المجموعة إلى سجن (غزة) المركزى، معصوبى الأعين، ومقيّدى الأيدى خلف الظهور، فى سيارة نقل عسكرية..

وفور وصولهم إلى سجن (غزة)، بدأت حلقة جديدة من التحقيقات، سبقها وتخللها وأعقبها عديد من صنوف التعذيب والإكراه، والضغوط النفسية والجسدية...

والمؤلم أن الإسرائيليين قد منحوا القسط الأكبر، من التعذيب والإهانات والعنف، للحاج (صباح الكاشف)، دون احترام لكبر سنه، أو ضعف جسده..

ولكن الرجل - رحمه الله - كان مثالاً حياً للبطولة والصلابة والشهامة، عندما تحمل العذاب والتعذيب الوحشى، بكل رجولة وحزم، دون أن تلين عزيمته، أو يعترف بحرف واحد مما لديه..

وأثناء الاستجواب والعنف، شعر قائد المجموعة (عبد الحميد)، أن الإسرائيليين لا يعلمون شيئاً عما فعلوه، طوال السنوات الماضية، وأن معلوماتهم تقتصر فقط على نشاط المجموعة، أثناء حرب أكتوبر، وأراد أن يبلغ الحاج (سعد) بهذا، حتى تقتصر اعترافاتهما على فترة الحرب وحدها دون غيرها..

كان أحدهما سجين زنزانة منفردة، فى بداية ممر السجن، والآخر نزيل زنزانة منفردة أخرى، فى نهاية الممر، وتفصلهما مسافة كبيرة نسبياً، تمنعهما من تبادل أية أحاديث، دون أن يلتقطها الإسرائيليون، الذين زوّدوا زنزانتيهما بأجهزة تنصُّت دقيقة أيضاً..

لذا فقد ابتكرا صديقا وزميلا العمر وسيلة فطرية عبقرية ومدهشة، لتبادل الحديث فى هذا الشأن..

فمن زنزانته، هتف الحاج (سعد): " الله واحد .."..وهنا أجابه (عبد الحميد)، بهتاف آخر: "لا من قبله ولا من بعده.."..

وفهم الرجلان المعنى، بعد سنوات وسنوات من الزمالة والصداقة..

فهم كل منهما أنه عليهما الحديث عن نشاط أكتوبر وحده، لا ما قبله، ولا ما بعده..
الحاج (سعد) وجد وسيلة أخرى طريفة، يتحدّث عنها قائلاً:
"كنت أحياناً أتظاهر بنسيان بعض التفاصيل، وباحتياجي لمراجعتها مع الحاج (عبد الحميد)، فيرسل المحققون الإسرائيليون لاستدعائه، وعندئذ ألتقى به، وأصافحه، ونتبادل بعض الكلمات السرية، التى لا يعرفها سوانا، والتى يفهم كل منا معناها جيّداً، دون أن يفهم الإسرائيليون منها شيئاً، على الرغم من أنهم كانوا جميعاً يتحدثون العربية بمنتهى الطلاقة ..".
وهكذا، انتصر الذكاء المصرى الفطرى، على العقول الإسرائيلية المحترفة المدرّبة، التى حاولوا إيهامنا، لسنوات وسنوات، أنها عبقرية متميِّزة، لا تُقهر ولا تنهزم أبداً..
وهذا يؤكِّد رأى الحاج (عبد الحميد)، الذى لا يمل ترديده أبداً..
"الإسرائيليون ليسوا أبداً بالبراعة، التى يوحون للعالم بها.."..

وفى حديثه عن فترة السجن والتعذيب، يروى الحاج (عبد الحميد)، قصة، كاد شعر رأسى يزداد شيباً لسماعها..
يروى أن والده قد زاره فى السجن، وقد تجاوز السبعين من العمر، فأخفى هو كفيه، اللذين اسودا وتورّما من شدة الضرب والتعذيب خلف ظهره ؛ خشية أن يراهما والده، وهو يتوقّع منه أن يلومه ويقرِّعه، على توريط نفسه فى أمر خطير كهذا، دون أن يستشيره، أو يطلب موافقته..
واقترب (عبد الحميد) من والده، وهو يقدّم قدماً، ويؤخِّر أخرى، وخفق قلبه بقوة، عندما رآه والده، وهبّ من مقعده بحركة فتية، لا تتناسب مع أعوام عمره السبعين، وانتظر صراخه الغاضب، وثورته العارمة، و...
ولكن الأب، الذى نما فى تراب هذا الوطن، وأكل وشرب من خيره، رفع قبضته أمامه فى حزم، وارتفع معها صوته، بمنتهى القوة، والعزم، وهو يهتف بابنه:
- إياك أن تحنى رأسك لمخلوق واحد..
ويحكى (عبد الحميد) أن قشعريرة قوية قد سرت فى جسده، وهو يحدِّق مبهوراً فى والده، الذى تابع بنفس القوة

والعزم، ودون أن يخشى رد فعل الإسرائيليين:

- ما فعلته يستوجب الفخر والزهو، فإياك أن تشعر بذرة واحدة من الخزى أو العار، وإياك أن تحنى رأسك لمخلوق واحد هنا.. المؤمن لا يحنى رأسه إلا لله (سبحانه وتعالى) وحده.

الواقع أن الرواية فجّرت ألف انفعال وانفعال فى أعماقى، إلا أنها لم تدهشنى، فكما يقولون دوماً، من الطبيعى أن يكون هذا الشبل من ذاك الأسد ، وأن تكون هذه مصر المصريين ..

المهم أن فترة السجن والعنف، والاستجواب، والتعذيب قد انتهت بصدور لائحة الاتهام، التى حوت سبع تهم، أخطرها التجسُّس فى زمن الحرب، وأقلها حيازة جهازى إرسال لاسلكى، وأسلحة، ومفرقعات، ومواد ناسفة شديدة التفجير..

ومع صدور لائحة الاتهام أو الادعاء، انتقلت القصة كلها إلى مرحلة جديدة ودقيقة جداً..

إلى المحاكمة..

الإسرائيلية.

*   *   *

٦ - الختام

يغلب ظنى أنه لو أتيحت للإسرائيليين الفرصة، لمحاكمة مجموعة من جنرالات النازية، الذين نسبت إليهم ارتكاب الفظائع، خلال الحرب العالمية الثانية، لما اتخذوا من إجراءات الأمن الشديدة والمعقَّدة ما اتخذوه، أثناء محاكمة أبطال (سيناء)..

ولقد تم نقلهم من السجن إلى المحاكمة، داخل عربة مصفَّحة، تحيط بها حراسة مكثَّفة، وأحيط مبنى المحاكمة كله بعشرات من الجنود المسلحين، والمدرعات، والدروع، الواقية، فى نفس الوقت الذى أحيط فيه قفص الاتهام أيضاً بطوق من الحراسة المشدَّدة..

وعلى الرغم من كل هذا، اكتظت المحكمة بجمهور غفير، من سكان مدينة (العريش)، وقطاع (غزة)، وبعدد من المحامين، من القطاع نفسه، جاءوا للدفاع عن الأبطال..

وبصلف إسرائيلى معتاد ، قرأ المدعى العسكرى الإسرائيلى لائحة الاتهام، وراح يفند خطورة التهم، واحدة بعد الأخرى،حتى انتهى من حديثه، وقد بدا للكل أن الإعدام هو أخف حكم، يمكن أن يصدر ضد أفراد المجموعة..

ثم جاء دور المحامين، الذين طلبوا تأجيل الجلسة، حتى يتمكَّنوا من الاطلاع على ملف القضية، إذ لم تتح لهم مقابلة موكليهم، فى الآونة الأخيرة، كما يحتّم القانون..

ووافق القاضى على تأجيل الجلسة، وحدَّد موعداً للجلسة التالية..

وكان هذا يعنى عودة الجميع إلى زنازينهم الانفرادية، فى سجن (غزة) المركزى..

وفى محبسه، راح (عبد الحميد) يستعيد كلمات والده القوية..

"لا تحن رأسك لأى مخلوق.."..

وتنهَّد قائد مجموعة (العريش)، وهو يسند ظهره إلى جدار سجنه فى ارتياح غامر..

إنه لم يحن رأسه لأى مخلوق بالفعل..

لا هو، ولا أى فرد آخر، من أفراد المجموعة كلها..

لا أحد منهم استسلم، أو فقد إيمانه بالله سبحانه وتعالى، أو ثقته فى قيادات أمن (مصر)، وفى أن الوطن لن يتخلّى عنهم أبداً مهما كان الثمن..

الوطن، الذى بذلوا كل ما بـذلوه مـن أجلـه، سـيجد حتمـاً وسيلة لإخراجهم من محنتهم، وإعادتهم إلى أحضانه، مهما بذل من جهد أو تضحيات، فى سبيل هذا..

وتوالت الأيام، وظـلّ أفـراد المجموعـة هـادئين واثقـين، مطمئنين إلى أن الوطن لن يهـدأ لـه بـال، مـا دامـوا فـى محابسهم..

لن يهدأ له بال أبداً..

ولقد سخر الإسرائيليون من إيمانهم هذا، وبالـذات رجـال مخابراتهم، الذين أخبروهم أن هذا مستحيل، وأن دورهـم بالنسبة لوطنهم (مصر) قد انتهى بسقوطهم، ولـن يبحـث عنهم، أو يتذكّرهم، أو يبذل من أجلهم مخلوق واحد أدنـى جهد، فى (مصر) كلها..

ولكن فجأة، وفى الصباح الباكر، من الرابـع مـن (مـارس)، عـام ١٩٧٤م، فـوجئ الرجـال بـالحراس الإسـرائيليين يخرجونهم من زنازينهم، ويخلعون عنهم ملابس السجن، ثم يسلموهم الملابس التـى كـانوا يرتـدونها، عنـد إلقـاء القبض عليهم، وبعدها حملوهم جميعاً إلى فناء السجن..

وعندما وصل ضـباط المخـابرات الإسـرائيلية إلـى المكـان، فوجئوا بالمجموعة كلها فى ثياب مدنية فـى الفنـاء، فـصعدوا إلى مكاتبهم، ثم استدعوا (عبد الحميد الخليلى)، و(سعد عبد الحميد) إليهم شخصياً دون الآخرين..

وفـى قلـب المخـابرات الإسـرائيلية، داخـل سـجن (غـزة) المركزى، سألهما أحد الضباط الإسرائيليين فى عصبية: "هل تعلمون إلـى أيـن أنـتم ذاهبـون؟!"، وأجابـه الاثنـان بـأن المجموعة كلها تجهل هـذا تمامـاً، وهنـا، هتـف بكـل خنـق وسخط الدنيا: "أنتم عائدون إلى (القاهرة).."..

وتفجَّر ألف انفعال وانفعال، فى أعماق (عبد الحميد) و(سعد).. ولدقيقة أو يزيد، عجز عقلاهما عن استيعاب العبارة، أو حتـى الموقف كله..

أمن الممكن أن يكون هذا حقيقة؟!..

هل تحقَّق المستحيل!..

هل سيعودون بالفعل إلى (القاهرة)!..

وبكل غضب الدنيا، وبعد مجموعة مـن الاتصـالات العبريـة ، التفت إليهما ضابط المخابرات الإسرائيلى، قائلاً: "لو أن الأمر

بيدى، لما خرجتكم من هنا أحياء، ولكنها أوامر عليا.."..

وكان موقفاً لا يمكن نسيانه أبداً..

ويضحك عم (سعد)، وهو يقول: "علمنا فيما بعد أن (مصر) كانت قد أوقعت بضابط مخابرات إسرائيلى فى (اليمن)، ويدعى (باروخ)، وأنها قد عقدت صفقة مع الإسرائيليين، لاستبدال (باروخ) هذا بمجموعتنا كلها، وبعدد آخر من المعتقلين والمسجونين أيضاً.. ومن الواضح أن (مصر) كانت صارمة تماماً فى صفقتها، وأنها قد طلبت القائمة كلها أو لا شئ، حتى أن الإسرائيليين كانوا قد أفرجوا بالفعل عن بعض المعتقلين، فأعادوا اعتقالهم، حتى تكتمل القائمة، وإلا رفضت (مصر) إتمام الصفقة..".

وفى فناء سجن (غزة) المركزى، تمت مراجعة أسماء الجميع، فى حضور مندوب منظمة (الصليب الأحمر)، ثم اقتادهم الحرّاس إلى الباب الخارجى، حيث كانت فى انتظارهم سيارة أتوبيس ضخمة، محاطة بحراسة قوية، وصعد الكل إليها، ثم قام الجنود الإسرائيليون بتقييد يد كل فرد إلى يد زميله، بقيود من البلاستيك القوى، وتم وضع حراسة مشدّدة داخل الأتوبيس نفسه، وكانت نوافذه كلها مطلية بطلاء داكن، لا يسمح بالرؤية، فى حين تم فصلهم عن السائق بحاجز خاص، تم طلاؤه باللون نفسه، حتى لا يدرك أحد إلى أين يتجه الأتوبيس..

ومرّ الوقت بطيئاً ثقيلاً، مع انعدام الرؤية، وعدم السماح بتبادل الكلام والأحاديث، والأتوبيس ينطلق فى قلب (سيناء)، وينطلق، وينطلق..

وأخيراً، توقف الأتوبيس فى منطقة البرج، شرق مدينة (القنطرة)، وساد صمت تام رهيب..

فعلى الجانب الآخر، الخاضع تماماً للسيطرة المصرية، كانت تقف سيارة أخرى مقفلة، تقل ضابط المخابرات الإسرائيلى (باروخ مزراحى)، الذى وقع فى قبضة المخابرات المصرية، منذ عدة سنوات سابقة، ورفضت (مصر) أكثر من عرض لإعادته إلى (إسرائيل)، حتى سقطت مجموعة (العريش)، وعندئذ رأت المخابرات المصرية، تقديراً لجهد وخدمات هؤلاء الرجال، أن تعقد صفقة مع الإسرائيليين، للقيام بمقايضة سرية، فتمنحهم ضابطهم الفاشل، وتستعيد أبطال

(العريش) كلهم..
وفى موقع البرج، الذى يبعد ستة عشر كيلو متراً، شرق مدينة (القنطرة)، حضر (باروخ) فى السيارة المغلقة، وحضر الأتوبيس الإسرائيلى، الذى يحمل الأبطال..
وتمت عملية التبادل..
تمت خلال خمس عشرة دقيقة، انطلق بعدها (باروخ) إلى (إسرائيل)، وعاد الأبطال إلى (القاهرة)..
فى عاصمة وطنهم، كانت بانتظارهم سلسلة من المفاجآت..
الأجهزة الأمنية المصرية استقبلتهم، بكل الحفاوة والترحيب، واستضافتهم استضافة كريمة لعدة أيام، ما زالوا يشيدون بها حتى يومنا هذا، ثم منحتهم الدروع والميداليات..
والتقى الأبطال بعد طول فراق..
التقى (عبد الحميد)، و(سعد)، و(رشاد)، بزميلى الكفاح (فضل) و(حجاب)..
وفى اللجنة المركزية العليا للاتحاد الاشتراكى، أقيم حفل كبير، فى القاعة الرئيسية، حضره كبار رجال الدولة، ومختلف أجهزة إعلامها ؛ للاحتفاء بأبطال مجموعة (العريش)..
ثم أقامت جمعية الشبان المسلمين حفلاً آخر للأبطال، فى مقرّها العام، حضره نخبة من رجال الدولة، على رأسهم السيد (حسين الشافعى)، نائب رئيس الجمهورية - حينذاك - والإمام الأكبر، الشيخ (عبد الحليم محمود)، وغيرهما..
وبعدها أقامت (منظمة سيناء العربية) حفلاً كبيراً، حضره كبار القادة، والأجهزة الأمنية، وتم خلاله تسليم أنواط ودروع المنظمة إلى أفراد المجموعة.
ثم كانت ذروة التكريم، عندما أصدر السيد (أنور السادات)، رئيس الجمهورية - آنذاك - قراراً جمهورياً بمنح الأبطال نوط الامتياز، من الطبقة الأولى (تقديراً للدور الذى أدوه، من صادق المعاونة المقدَّمة للقوات المسلحة، خلال حرب أكتوبر المجيدة) كما جاء فى براءة النوط.
وفى أحد نوادى القوات المسلحة بالقاهرة، أقيم حفل كبير، قام خلاله المشير (أحمد بدوى)، وزير الدفاع فى ذلك الحين، مندوباً عن رئيس الجمهورية، بتسليم الأنواط

والميداليات التذكارية لأبطال (سيناء)..
ومع كل حفلات التكريم، والرعاية التامة، التى أحاط بها المسئولون وأجهزة الأمن الأبطال، إلا أنهم لم ينسوا ما فعله من أجلهم رجلان بالتحديد، كان لهما عظيم الأثر، فى مشوار الكفاح والنضال..
الأستاذ (حلمى البلك)، الذى أولى بياناتهم اهتماماً بالغاً، وبثها عبر برنامجه الشهير، الذى كان يذاع أيامها بانتظام (الشعب فى سيناء)، معلناً أنها صادرة من (لجنة أبناء سيناء الأحرار)، مما منحهم قوة أكبر، وساعد على انتشار أعمالهم، وبلوغ أهدافهم مداها..
ولقد اتفق الكل على أنهم قد اعتبروا الأستاذ (حلمى البلك) واحداً من مجموعتهم، خاصة وأنه من أبناء (سيناء) المخلصين، وأبناء الوطن، الذين لا يألون جهداً، فى سبيل رفعته وعلو شأنه..
أما الرجل الثانى، الذى يحملون له كل التقدير والاحترام.. بل والتبجيل أيضاً، فهو المرحوم اللواء (محمد عبد المنعم القرمانى)، محافظ (سيناء) حينذاك، والذى منحهم كل اهتمامه ورعايته، منذ كانوا يقاتلون فى (العريش)، وعند وصولهم إلى أرض (مصر)..
لقد تعامل معهم الرجل - رحمه الله - بأبوة صادقة، وعناية مخلصة، ورعاية بلا حدود، حتى أنهم كانوا وما زالوا يعتبرونه الأب الروحى لمجموعتهم، على الرغم من وفاته، ومرور كل هذه السنوات الطوال..
ومن الطبيعى ألا ينساه أحدهم قط، فقد بذل جهداً حقيقياً من أجلهم، منذ وطأت أقدامهم (القاهرة)، وقدَّم لهم ما لم يقدِّمه سواه..
فبعد حفلات التكريم، والرعاية البالغة، راح يخاطب كل المسئولين، حتى استصدر قراراً بمنحهم لقب (مجاهد)، والذى حملته أنواط الامتياز التى حصلوا عليها، وما زالوا يفخرون بها، حتى لحظة كتابة هذه السطور..
أضف إلى هذا أن اللواء (القرمانى)، رحمه الله، ترك تعليمات مستديمة إلى السكرتارية الخاصة بمكتبه، بأن المجاهدين مستثنون تماماً من ضوابط مقابلته، وأن مكتبه مفتوح لهم، فى أى وقت يشاءون..

ولا يذيع الأبطال سراً، عندما يقولون: إن المجموعة كانت على علاقة قوية، واتصال مباشر به، طوال فترة الاحتلال، وأثناء تنفيذ عملياتها، وقبل أن يعود أفرادها إلى (القاهرة)..
ولقد أولى اللواء (القرمانى) المصابين من أفراد المجموعة عناية ورعاية تفوقان كل وصف، حتى أن (فضل عبد الله) يقول فى تأثُّر: "لقد عين سيارة خاصة، لإحضارى وقت الحاجة، حتى لا أحتاج إلى من يعاوننى فى هذا، بعد أن فقدت بصرى، وذات مرة، لم تكن هناك أية سيارة متاحة، فأصر على أن تحملنى سيارته الشخصية إلى حيث أريد..".
الرجل - رحمه الله - كان إذن حالة نادرة من البشر، يقدّر البطولة، ويحترمها، ولا يدخر جهداً فى تكريم أصحابها، ورعايتهم، ومتابعتهم فى كل شئون حياتهم، المادية والتعليمية، وحتى الصحية..
لا عجب إذن أن يحمل له الرجال كل هذا الاحترام والتقدير، وأن يوصوا بأن تحمل كتاباتى عنهم مشاعرهم تجاهه، وأن أضيف إليها دعاءهم له، عندما يسألون الله سبحانه وتعالى أن يجزيه خير جزاء، وأن يدخله فسيح جناته..
ولأن الأبطال يحترمون كل من تأثَّروا به، وبما يطرحه من آراء، ويقدرون كل من اتخذوا من سلوكه وصفاته الشخصية مثلاً لهم، سواء أكان يعلم حقيقة ما يفعلونه أو لا، فقد رأوا ضرورة ذكر قائمة وفاء هنا، فى نهاية المقالات، تقديراً منهم لكل من لعب دوراً هاماً فى حياتهم الحافلة..
فضيلة المرحوم الشيخ (جاد المولى أحمد)، والمرحوم الأستاذ (إسماعيل فؤاد رضوان)، والمرحوم الحاج (مصطفى ديبان)، والمرحوم الأستاذ (على محمد الجعفرى)، والمرحوم الأستاذ (محمد عز الدين جبريل)، والحاج (محمد عبد العزيز حسين طروش)، والأستاذ (غريب أبو حمدة)، والمرحوم الحاج (سعيد حامد الطنجير)، والمرحوم الحاج (عبد السلام حمدى الكاشف)، والمرحوم الحاج (محمد فتحى رحال)..
وعلى الرغم من كثرة الأسماء، وتراصها على نحو لا يتفق مع الأسلوب الصحفى الأمثل، إلا أن الوفاء، الذى اعتبره دوماً سمة من سمات البطولة الحقة، جعلنى أتجاوز كل القواعد

والأعراف، وأصرّ على تدوين كل الأسماء هنا..
بلا استثناء..

* * *

وفى نهايةً اللقاء، وقبل أن أغادر أبطال مجموعةً (العريش)، عائداً إلى (القاهرةً)، متخماً بعشرات الأحداث والأفكار المثيرةً، وبوجبةً سمك لذيذةً، أحضرها (عبد الحميد سعد)، ابن الحاج (سعد)، والذى يحمل اسم صديق وزميله كفاحه، تذكَّرت الفقرةً التى أنهى بها هؤلاء الرجال مذكراتهم، التى أرسلوها إلىَّ..

"لم نكن الوحيدين فى الميدان، بل كانت هناك مجموعات أخرى عديدةً، تعمل على أرض (سيناء)، وتديرها المخابرات المصريةً بكل اقتدار، حتى غطت كل شبر من (سيناء)، وكانت من مفاجآت حرب أكتوبر، التى قال عنها (موشى ديان)، وزير الدفاع الإسرائيلى، فى مذكراته التى نشرت بعد الحرب: "نجح المصريون فى زرع رادارات بشريةً، فى كل شبر من (سيناء)"، ونحن وهم أدينا واجبنا، كما ينبغى أن يكون الأداء، وستظل البطولات المصريةً سطوراً مكتوبةً بأحرف من (نور)، فى تاريخ (سيناء)، حتى يدرك الأبناء ما قدَّمه الآباء.."..

تلك كانت كلماتهم، ومشاعرهم، وكانت أفضل ختام لقصتهم، التى عرفتها منذ ربع قرن، وطالعت تفاصيلها من أيام..

قصةُ المجاهدين..

أبناء سيناء.. الأحرار..

والأبطال..

* * *

((تمت بحمد الله))